

السلامة المرورية في الاسلام

الواقع و المطلوب

تاريخا و مفهوما و التزاماً

المهندس/ هيثم نمر

ح هيثم نذير نمر ، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نمر ، هيثم نذير

السلامة المرورية في الإسلام الواقع والمطلوب تاريخًا، ومفهومًا، والتزامًا. هيثم نذير نمر .- الدمام، ١٤٣٧هـ

٢٢٤ ص، ١٧/ ٢٤ سم

ردمك: ٣-١٧٦٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- المرور- إجراءات الأمن والسلامة أ. العنوان

ديوي ٣٦٣.١٢٥ ٨٢٦٦/ ١٤٣٧

رقم الإيداع: ٨٢٦٦/ ١٤٣٧

ردمك: ٣-١٧٦٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨



السلامة المرورية في الإسلام
الواقع والمطلوب
تاريخاً ومفهوماً والتزاماً

المؤلف/

المهندس هيثم نذير نمر

بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية

من جامعة دمشق عام ١٩٨٦.

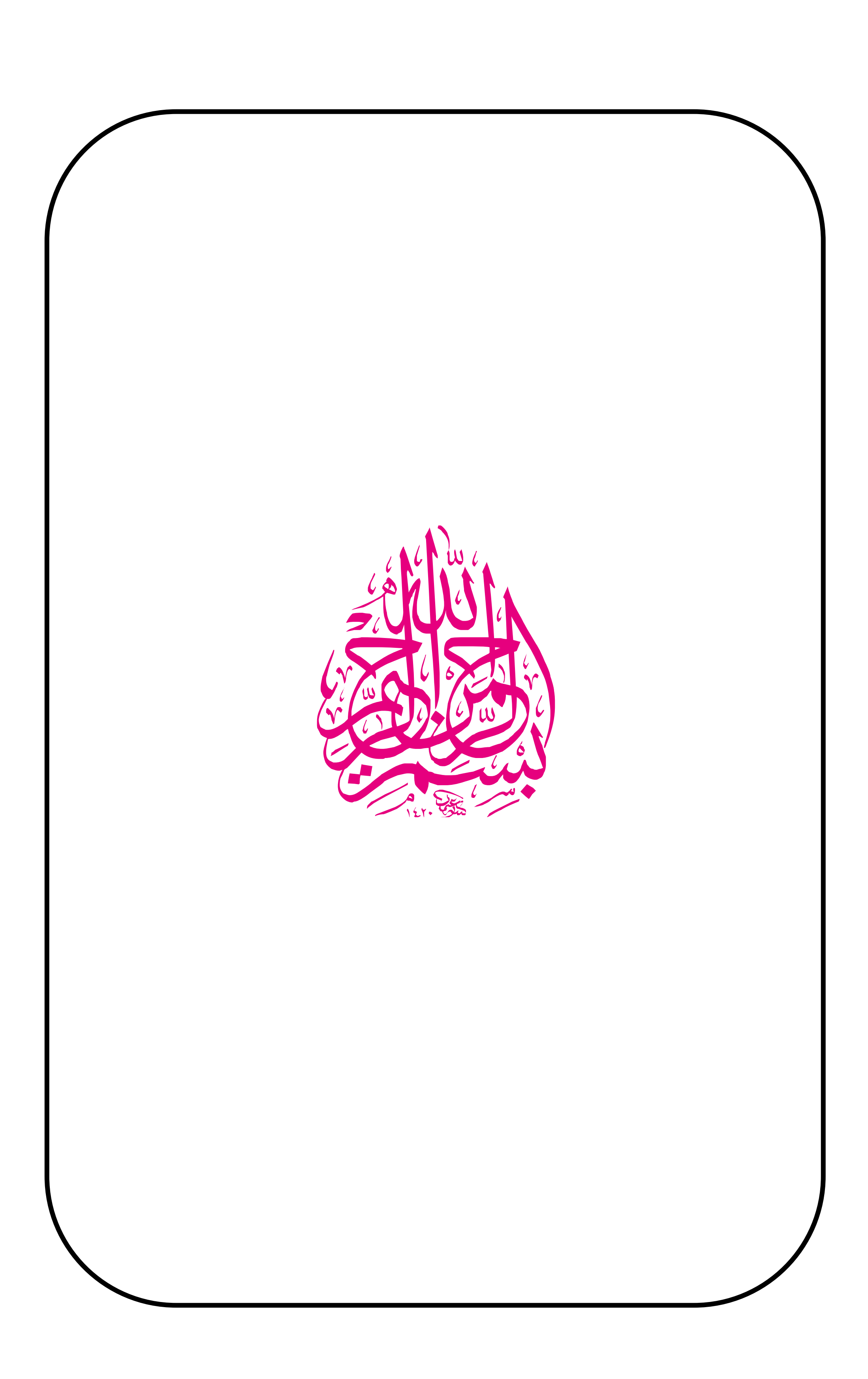
جوال:(٠٠٩٦٦٥٠٧٩٧١٨٢٠) ،

(٠٠٩٦٣٩٩٤٤١٤٣١١).

إيميل: numer_sy@yahoo.com

المدقق اللغوي/

يونس أحمد هندي


بسم الله الرحمن الرحیم

تقدمة مدير جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾} [النساء: ٢٩] ، والصلاة والسلام على رسول الله ، لقد نظمت شريعة الإسلام جوانب الحياة وشؤونها في كل ما يعرض للمرء من مهده إلى لحده ، إن الإسلام يبني أمة ذات رسالة؛ لتبقى قائدة رائدة صالحة لكل زمان ومكان ، فلم يدع الإسلام مجالًا في السلوك العام ، أو السلوك الخاص إلا وجه فيه بأمر السداد ، يظهر هذا في حق الطريق وآدابه جليًا واضحًا.

فالطريق في الإسلام وسيلة إرفاق وتوسعة ، وتيسير على الناس في ذهابهم وإيابهم ، ومظهرٌ من المظاهر النافعة التي تعود على الناس في قضاء مصالحهم وشؤونهم ، ومن عظمة هذا الدين الخالد والشرع الفاضل أن حوت تعاليمه وقيمه ومبادئه كل ما من شأنه أن يوفر للمجتمع السعادة والراحة والطمأنينة؛ حتى يتوجه الناس لربهم بالطاعة ، فالطريق في الإسلام واحدٌ من مرافق المسلمين العامة التي شملتها تعاليمه ، فحددت آدابه ، ونظمت مجالسه ، وبينت حقوقه ، وحقوق المارين به في أدب رفيع.

ولقد وجه الرسول ﷺ إلى إماطة الأذى عن الطريق وأنه من شعب الإيمان ، وأنه من محاسن الأعمال وجميل الخصال؛ قال ﷺ: «عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق». (رواه مسلم).

فإذا كان هذا الثواب العظيم لمن يكف الأذى عن المسلمين وينحيه عنهم في طرقاتهم ، فكيف تكون العقوبة لمن يتعمد إيذاء الناس في طرقاتهم ، بإدخال الفزع والهلع على المسلمين الراكبين والمارين والجالسين بأصوات التفحيط واللف والدوران



والسرعة الزائدة، وبقطع إشارات المرور، وإحداث البلبلة والخوف لمن يكون حاضرًا تلك المشاهد المرعبة التي تأخذ بالقلوب، وتذهب بالعقول، أخرج الطبراني من حديث حذيفة بن أسيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»، والقاعدة النبوية تقول: «لا ضرر ولا ضرار».

ومن الإضرار الممنوع بل المتكرر المسموع مضارة الناس في طرقاتهم بمخالفة أنظمة السير بما يعرض الناس للخطر، فنعمة هذه المركوبات من سيارات ودراجات نعمة عظيمة لا تقدر بثمن، ولكن ما من شيء يجهل حسن استعماله أو يساء استخدامه إلا وتنقلب النعمة فيه نقمة، والمنحة محنة، وهذا حالنا مع السيارات، فالأرقام والإحصاءات وعدد الأموات، والمصابين والمعاقين في المستشفيات، والأرامل والأيتام في البيوتات خير شاهد ودليل. وعلى الرغم من انخفاض هذه الحوادث عن العام الماضي بسبب التطبيق الصارم للحملات المرورية والتي تصدت إلى مخالفي السرعة وقطع الإشارات، إلا أن هذه الحوادث تشغل بال ولاة أمر هذه البلاد والمسؤولين بسبب ما تحدثه من سلبيات تعود على الوطن والمواطن والمقيم بشر عظيم لا يعلم مداه إلا الله وحده. والحملات التي تقوم بها الأجهزة الأمنية بإرشاد الناس وتوجيههم إلى لزوم التنظيمات التي وضعها ولي الأمر من أجل الحد من هذه الحوادث المهولة التي تأكل الأنفس والأموال، ولكن للأسف الشديد أن هناك الكثير من الناس يتساهل في تطبيق هذه الأنظمة والسير عليها.

إذا كنا نتطلع اليوم إلى نهضة حضارية، ويقظة فكرية فما أجدرنا بأن نهتم بتربية الأجيال وتوعيتهم، والسعي الجاد بكل الوسائل الممكنة من بث روح التعاون والتكاتف، لننهض بمجتمعنا لمراتب السيادة والريادة، فليكن شعارنا التعاون والتناصح من أجل تعايش أفضل، وبفضل الله تعالى، ثم بفضل عظمة هذا الدين وآدابه وشموليته فإن إمكانات النجاح متوافرة اليوم، وربما لا تكون كذلك غدًا، والعاقل من يغتنم الفرصة قبل فواتها.ولذا فالجميع مطالبون بالقيام كلٌّ بواجبه، ودعوتهم للالتزام بالنظام الذي هو مصلحة للجميع، بل هو قربة لله، متى حَسُنَ القصد وخلصت النية. ونظرًا لأهمية الوعي بالإرشادات والعلامات المرورية المنتشرة على الطرق وأن الالتزام بها واجب

شرعي ووطني لأنها تحمي من الضرر.

وإيمانًا بواجب الجمعية السعودية للسلامة المرورية (سلامة) تجاه المكتبة العربية و تجاه القائمين على تعليم أبنائنا وتجاه كل مهتم بالسلامة المرورية نضع بين أيدهم كتاب السلامة المرورية في الإسلام بين الواقع والمطلوب الكتاب القيم في معلوماته والشيق في أسلوبه والمبدع في إخراجه والذي يمكن أن يكون احد المراجع في هذا المجال و منهج تعليمي يساهم في رفع الوعي المروري لدى الطلبة وهم سائقي المستقبل ولدى أفراد المجتمع بشكل عام.

أتقدم بالشكر الجزيل للمؤلف والجمعية على انجاز وطباعة هذا الكتاب وإلى المزيد من نشر الوعي المروري بين أفراد المجتمع.

مدير جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

عضو لجنة السلامة المرورية بالمنطقة الشرقية

أ.د. عبد اللّه بن محمد الربيش

www.iau.edu.sa





Kindly consider your environment before printing this e-mail

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

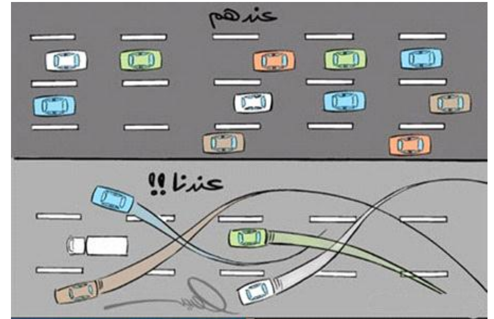
الحمد لله رب العالمين، الذي ندعوه كل يوم في صلواتنا أن يهدينا الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على من أُرسل متمماً لمكارم الأخلاق ورحمة للعالمين.

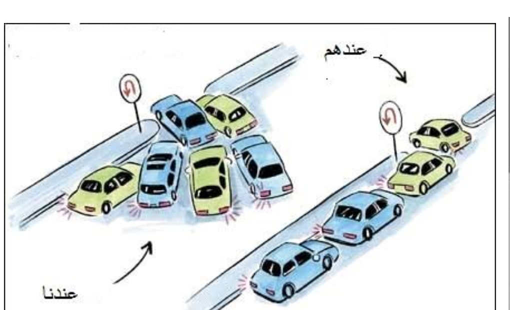
{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠].

الإنسان هو هدف السلامة المرورية ويجب عليه أن يدرك الغاية من خلقه ووجوده على الأرض، فإدراك الإنسان غاية خلقه، وهي عبادة الله الواحد الأحد لقوله تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦} [الذاريات]. واستحضار هذه العبادة في كل سلوكياته وأفعاله، هو التطبيق الفعلي والعملي لتعاليم الشريعة الإسلامية. وكل ما يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية واجب، وكل ما يخل بها محرم.

وفي عصرنا الحديث ومعاشنا اليومي ما يجب أن نعلمه، أن مراعاة السلامة المرورية مما يعين على تحقيق غاية العبادة، ويحقق سلامة العباد؛ إذ لا يجتمع صلاح العبادة والإفساد في الأرض؛ وذلك بإيذاء العباد وبوجود اللامبالاة في قيادة السيارة، أو عدم تطبيق قوانين المرور وآداب الطريق، أو عدم الأخذ بالأسباب التي تقي من الحوادث.

لِننظر إلى الصورتين الآتيتين، عندنا وعندهم، صُورَتين لا يأبَه بهما أحدٌ، بل هما مع الأسف مُخجِلتان، مُفجعتان، مؤلمان، ومنتشرتان، وعلى بساطتهما لكنهما تُدينانا، وتمدحانهم.. تُبكيانِنا، وتُضحِكانهم.. بهما يظنون أنهم مُصلِحون، وأننا مُفسِدون.!!





إن مجرد وجود هكذا صورة تحتِّم علينا الخجل من أنفسنا ، الصورة التي عندنا ، واقع مُرٌّ نراه كل يوم في طرقاتنا من بعض المسلمين ، وحتى من بعض الملتزمين دينيًا. وهذا الواقع ، إن لم يحرك فينا ساكنًا فنحن لم نفهم الإسلام بعد ، وهذا من أبسط الأمثلة على ما نحن عليه اليوم.

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن عند النظر إلى عنوان الكتاب:

هل أشار الإسلام إلى موضوع السلامة المرورية؟ أو هل هناك نصوص شرعية أشارت الى موضوع السلامة المرورية ؟

قال الله تعالى:

{وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾} [الإسراء].

وعنه ﷺ قال: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة»(١).

وما نقل عن سيدنا عمر بن الخطاب ؓ : «والله لو تعثرت بغلة في العراق -هو في المدينة- لحاسبني الله عنها لِمَ لَمْ تصلح لها الطريق يا عمر».

وعنه ﷺ قال: «مَنْ آذى مُسْلِمًا فقَدْ آذَانِي ، ومَنْ آذَانِي فقَدْ آذى اللَّهَ»(٢).

(١) الراوي: عبد الله بن عباس ، المحدث: الألباني ، المصدر: صحيح الجامع ، الجزء أو الصفحة: ٤٢ ، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أنس بن مالك ، المحدث: المنذري ، المصدر: الترغيب والترهيب ، الجزء أو الصفحة: =



وفي حديث رسول الله ﷺ: عن معاذ بن أنس الجهني قال: غزوت مع نبي الله ﷺ غزوة كذا وكذا فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله ﷺ مناديًا ينادي في الناس أن «من ضيَّق منزلًا، أو قطع طريقًا، أو آذى مؤمنًا، فلا جهادَ له»[(١)].

فالتضييق على المارة أو قطع الطريق، أمر بسيط جدًا في نظر البعض، لكنه أسقط ثواب الجهاد في سبيل الله!. وما أكثر تساهلنا اليوم مع هذه المخالفات البسيطة من عرقلة سير، أو وقوف ممنوع، أو إغلاق حارة أو شارع، وذلك بالوقوف بالسيارة بشكل خاطئ.

الأمر إذًا خطير وخطير جدًا، ويحتاج إلى التبصر والتمحيص والتدقيق وتحسين السلوك المروري.

إذًا في شريعتنا الإسلامية كثير من الآيات والأحاديث التي تحض على الالتزام بالسلامة المرورية، بل تُعد من يتجاهلها آثمًا ومن يطبقها مأجورًا.

ولكن هناك قصورًا في فهم الإسلام من بعض المسلمين وما جاء في القرآن والسنة. وقد وضع المسلمون اليوم حاجزًا بين الدين والدنيا، وإن كثيرًا من المسلمين غير قادرين على إسقاط العديد من النصوص على واقعنا اليومي وحياتنا المعاصرة، وكثير منهم غفل عن معنى الآية: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨} [الزلزلة:٧، ٨].

المسلمون اليوم في حاجة ماسة إلى تنمية المفاهيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، نحن في عصر لا بد أن نفهم الأخلاق فهمًا إضافيًا حضاريًا؛ حتى لا نكون بعيدين عن الحضارة الإنسانية، والإسلام دين لكل زمان ومكان.

من هنا ينبغي أن يُفهم أن هناك تعاملات وفروضًا حضارية مستجدة تعد اليوم محورية في أخلاق المسلم، وهي مستندة إلى أصول ثابتة في ديننا الحنيف، وأن

= (٣٤٦/١)، حكم المحدث: [لا يتطرق إليه احتمال التحسين].

(١) الراوي: معاذ بن أنس الجهني، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: ٦٣٧٨، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الإسلام دين الفطرة ، وأن تطبيق الشريعة الإسلامية مصلحة للجميع في الدنيا والآخرة.

{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة: ٣] ، هذه الآية توضح لنا أن هذا الدين تام عددًا وكامل نوعًا ، ولا يحتاج إلى أي إضافة ، وإنما نحن من يحتاج إلى فهم أوسع لبعض النصوص القرآنية والتوجيهات النبوية ، وإسقاط نصوصها على المستجدات الحضارية التي ظهرت في عصرنا الحالي.

ومن أهم المستجدات الحضارية التي نعيشها كل لحظة في حياتنا قضايا المرور والسلامة المرورية ، وكيفية تجنب حوادث السير ، التي أصبحت خسائرها البشرية والمادية تفوق أي خسائر أخرى ، في جميع أنحاء العالم ، وفي بعض مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

المسلم الذي فهم الإسلام عبادة شعائرية فقط ، من صلاة وصيام وزكاة وحج (والحرص عليها واجب) ، فهمه قاصر ، فهي لا تُقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، ويقع على رأس هذه العبادات التعاملية ألّا نوقع الأذى والضرر على الآخرين.

يقول الله تعالى:{ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾} [العنكبوت: ٤٥].

فكيف نغير واقعنا المروري إلى الأفضل؟

عسى أن يوفقني الله للجواب عن هذا السؤال في هذا الكتاب.

الكتاب قد يكون الأول في المكتبة الإسلامية ، وفكرته الجمع بين موضوع السلامة المرورية وما جاء عنها في الشريعة الإسلامية.

في هذا الكتاب سنوضح كيفية تحقيق أحد فروع العبادة من خلال تطبيق قواعد السلامة المرورية وقوانين المرور.

وفيه جولة سريعة في إسقاط بعض النصوص الشرعية من القرآن والسنة ومصادر التشريع وأفعال وأقوال الصحابة والتابعين على واقعنا المروري الحالي وربطها بمفهوم السلامة المرورية ، لأن الإسلام دين كل زمان وعصر ، وصالح لكل مستجدات الحياة

الحضارية ، ويستوعب كل قوانين الأرض التي تنظم حياة البشر ، ولا يتناقض معها بل يدعمها ويحث على تطبيقها.

وهو محاولة جادة لتوضيح بعض تعليمات الشارع الحكيم في المنهج الإسلامي القويم ، والواقع والمطلوب ، والمفهوم التطبيقي الخاطئ للسلامة المرورية ، وذلك ضمن مفهوم السلامة المرورية عبر التاريخ الإسلامي ومقوماتها وسبل الالتزام بها.

وهو ليس كتابًا فقهيًا ، وإنما هو دعوة لتصحيح السلوك المروري والالتزام بالسلامة المرورية ، من خلال التعاليم الإسلامية ، وغير مخصص لشرح مفهوم السلامة المرورية بالمعنى الشامل ، ولكن لا بد من أن نتطرق لبعضها ، ونبين العلاقة بينها وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية في الكتاب والسنة ، وأن الشريعة الإسلامية لم تغفل هذا الجانب من الحياة ، وإنما أغنته بكثير من النصوص الترغيبية والترهيبية.

والهدف من الكتاب حث المسلمين على تطبيق أنظمة المرور والسلامة المرورية بواعظ ديني ، وتوضيح مفهوم السلامة المرورية بشكل عام ومفهوم السلامة المرورية في الشريعة الإسلامية بشكل خاص ، وأنها عبادة كأي عبادة أخرى ، وتطبيق أنظمة المرور يجب أن ينبع من حالة إيمانية ، كمن يتصدق أو يقوم الليل فإنه يبتغي الأجر ، كذلك المخالفة المرورية مرتكبها يترتب عليه ذنب بين كبير وصغير ، ولا بد من التوبة منه وطلب السماح من الآخرين.

وليكون الواعظ الديني رافدًا من الروافد الأساسية للسلامة المرورية ، عسى أن ينعكس ذلك على المجتمع بالالتزام بقوانين المرور والسلامة المرورية؛ للوصول إلى طرقات آمنة مطمئنة ، شبه خالية من المخالفات المرورية وحوادث السير ، والحد من الوفيات والإصابات والخسائر الناجمة عن حوادث الطرق الخطيرة التي تعدت حدود المعقول ، خاصة في بعض البلاد العربية الإسلامية وللأسف.

وسنتناول في هذا الكتاب ، السلامة المرورية في مفهومها العلمي ومفهومها الشرعي ، والسلامة المرورية بين الحاضر والماضي ، ورأي الشارع فيها ، والآيات والأحاديث التي وردت في هذا السياق ، ومخالفات المرور والحوادث من المنظور الشرعي ، ونصائح تجنبها شرعًا وعملًا.

عسى أن يشعر كل من يقرأ هذا الكتاب أنه موجه له فيغير سلوكه المروري، وطريقته في المشي، وقيادته السيارة، ونظرته وتعامله مع الآخرين في الطريق من خلال مفهوم إيماني شامل ومنفتح، ومن خلال المفهوم الشامل للنصوص الشرعية وقابليتها لاستيعاب المستجدات الحضارية، بحيث يستنبط منها المفاهيم الخاصة المعاصرة، وأهمها التعامل اليومي ومفهوم السلامة المرورية.

من هنا وجدت أنه لا بد من لملمة بعض الأفكار المتفرقة، وجمعها في بوتقة واحدة، عسى أن يتضح الواجب والمطلوب والحقوق، لتصحيح الخطأ السلوكي المروري الذي يرتكبه الكثير من المسلمين في كل يوم في مجال السلامة المرورية، والذي يتسبب في حوادث السير المفجعة، التي خسائرها كبيرة وجسيمة والتي ذهب ضحيتها كثير من أرواح الأبرياء، وهي ليست مجرد أرقامٍ تضاف إلى إحصائياتنا، ولكنها خسائر بشرية فادحة تهدر العديد من الطاقات الجبارة والإمكانات الضخمة، وخسائر مادية كبيرة نحن بأمس الحاجة لها، وهي تعكس أيضًا صورة مخجلة وغير حضارية عن بعض مجتمعاتنا الإسلامية.

وقد استخدمتُ كلمة سيارة على إطلاقها دون تحديد نوع لها، عادية أم بيك أب، صغيرة أم كبيرة، خاصة أم عامة، شاحنة، باص أو ميكروباص. واستخدمتُ كلمة سائق وليس المقصود بها مهنة السائق، وإنما كل من يقود سيارة، مهما كان عمله أو منصبه أو صفته الشخصية ذكرًا أو أنثى. والمستهدف الإنسان سواء أكان ماشيًا أم راكبًا، أم سائقًا يقود سيارته أو دراجته.

أرجو من الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل بمنه وفضله، ولولا فضله لما تمت طباعته ونشره.

كما أتقدم بالشكر والعرفان للأساتذة الأفاضل الذين استعنت بمقالاتهم ومحاضراتهم وخطبهم في إكمال هذا العمل، وقد ذكرت أسماءهم في صفحة المراجع ولهم الأجر إن شاء الله.

كما أرجو أن أكون قد وفقت في طرح هذا الموضوع بطريقة بسيطة ومفهومة، وأن ينال الكتاب رضاكم واستحسانكم، وأن يجعل فيه الخير لي ولكم، ومن وجد فيه خللًا أو خطأً غير مقصود فلا يبخل علينا بملاحظاته وتصحيحه، ولا تنسونا من دعوة طيبة في ظهر الغيب.


إلى متى؟
كفاكم إزهاقا للأرواح بلا ثمن



الفصل الأول

عناصر السلامة المرورية وتعريفها

لغةً وشرعاً



عناصر السلامة المرورية
وتعريفها لغةً وشرعاً

السلام:

كلمة جميلة، تستمتع بها الآذان، وتستأنس بها النفوس، تتمناها كل الشعوب، أطلقها البارئ على ذاته العلية، وسمى دينه الذي ارتضاه لعباده إلى قيام الساعة الإسلام، وهي تحية أهل الجنة فيما بينهم. وطريق الحق الذي ينتهي إلى دار السلام، هو السلام، فمن أراد دار السلام، فعليه بسلوك السلام في حياته، واتباع تعاليم الإسلام، ليصل إلى دار السلام بسلام.

الدين الإسلامي دين السلام، حتى أن تحية المسلم هي السلام عليكم، والإنسان مكرم في الإسلام، فالسلامة للإنسان أهم مقصد من مقاصد الشرع الإسلامي، وهو من أولويات الحياة الإسلامية السعيدة.

تعريف: السلام لغة: اسم مصدر من سلَّم يسلِّم تسليما، وهو بمعنى النجاة والتخلص مما لا يُرغب فيه، يقال: (سَلِم من الأمر) إذا نجا منه، وتفيد معنى التخلص من الآفات والنجاة منها، فهو بمعنى السلامة، أيضًا هو النجاة والبراءة من العيوب والآفات.

وفي الموسوعة العربية العالمية جاء أن كلمة السلامة تدل على التدابير الوقائية التي يتخذها الإنسان لمنع الحوادث.

والسلامة هي المحافظة على الأرواح والممتلكات والبيئة باتخاذ الاحتياطات الوقائية لمنع الحوادث والتلوث والدمار، وذلك من خلال برامج الوقاية من الحوادث.

تعريف: السلام في الشرع: يُطلق لفظ (السلام) في النصوص الشرعية ويراد به عدة أمور، ومن هذه المعاني:

اسم الله تعالى: قال تعالى: {هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ} [الحشر: ٢٣] ؛ سمى الله سبحانه نفسه بالسلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء.

التحية: وهو قولنا: (السلام عليكم) ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤].

و (السلام) الوارد في التحية إما أن يكون المراد به: اسم الله تعالى، فيكون المعنى (اسم الله عليكم)، وجاء في التحية دون بقية أسمائه سبحانه لتضمنه معنى السلامة، أو يكون المراد به السلامة نفسها، فيكون المعنى (السلامة عليكم)، فكأن المسلِّم يقول للمخاطب: لك مني السلامة، فلا تخش شيئًا، فيرد عليه الآخرُ بالمثل.

السلامة من الآفات: وهو المعنى المقصود الذي نستنبط منه معنى السلامة المرورية، ومنه قول الله تعالى: {وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾} [الفرقان].

أي: قولًا وفعلًا يسلمون فيه من مقابلة الجاهل بجهله.

تعريف السلامة المرورية:

يرى البعض أن السلامة المرورية هي: «مجموعة الإجراءات التي تهدف إلى تأمين السلامة في مفهومها الواسع لمستخدمي الطريق، سائقًا وراجلًا وراكبًا».

وتذهب بعض التعريفات الأخرى إلى أن السلامة المرورية هي: «الوقاية والحد من وقوع الحوادث المرورية؛ ضمانًا لسلامة الإنسان وممتلكاته، وحفاظًا على أمن البلاد ومقوماتها البشرية والاقتصادية». أو أنها «تبنِّي كافة الخطط والبرامج واللوائح المرورية والإجراءات الوقائية للحد من أو منع وقوع الحوادث المرورية؛ ضمانًا لسلامة الإنسان وممتلكاته، وحفاظًا على أمن البلاد ومقوماتها البشرية والاقتصادية». أو أنها: «مجموع

الخطوات التي تهدف إلى تبنّي جميع الخطط والبرامج المرورية والإجراءات الوقائية للحد من وقوع الحوادث المرورية؛ حفاظًا على أرواح المواطنين وممتلكاتهم ومقومات المجتمع البشرية والاقتصادية».

ومما سبق يمكن تعريف السلامة المرورية بأنها: تنفيذ كل الخطط والبرامج المروريِة والإجراءاتِ الوقائيةِ لتقليل أو منع الحوادثَ المروريةِ، ولحِماية الإنسان وملكيته (النفس والمال)، وحماية القضايا الاقتصادية والسير على الطرقات بأمن وسلام، والوعي لقيادة آمنة على الطريق لضمان سلامة الأشخاص من الحوادث التي تسبب الإصابة والإعاقة أو الموت في الكثير من الأحيان.

كما يمكن تعريف السلامة المرورية شرعا بأنها: تقوى الله عز وجل في الطريق، وإعطاء الطريق حقه، واستحضار مراقبة الله من مستخدمي الطريق والمسؤولين عنه، مضافا إليها الالتزام بكل ما ورد في التعريف السابق.

عناصر السلامة المرورية

وتتعدد عناصر أو محاور السلامة المرورية في مدلولها السابق، بحيث يمكن، في هذا الصدد، التمييز بين عناصر ثلاثة (العنصر البشري، المركبة، الطريق)، وبالنظريات الحديثة للسلامة المرورية أضيف عنصر رابع هو ما سمي التنظيم، فأصبحت أربعة عناصر هي:

- العنصر البشري.
- المركبة.
- الطريق.
- التنظيم أو (الضبط المروري).

وإذا توافرت العناصر الثلاثة في حالتها المثالية، تتحقق أعلى درجات السلامة المرورية.

وهذه العوامل ذاتها قد تمثل في المقابل (إذا كانت في غير حالتها المثالية أو كان هناك خلل بأحدها) أهم مسببات الحوادث المرورية التي تنعكس بصورة سلبية على مبدأ السلامة

المرورية.

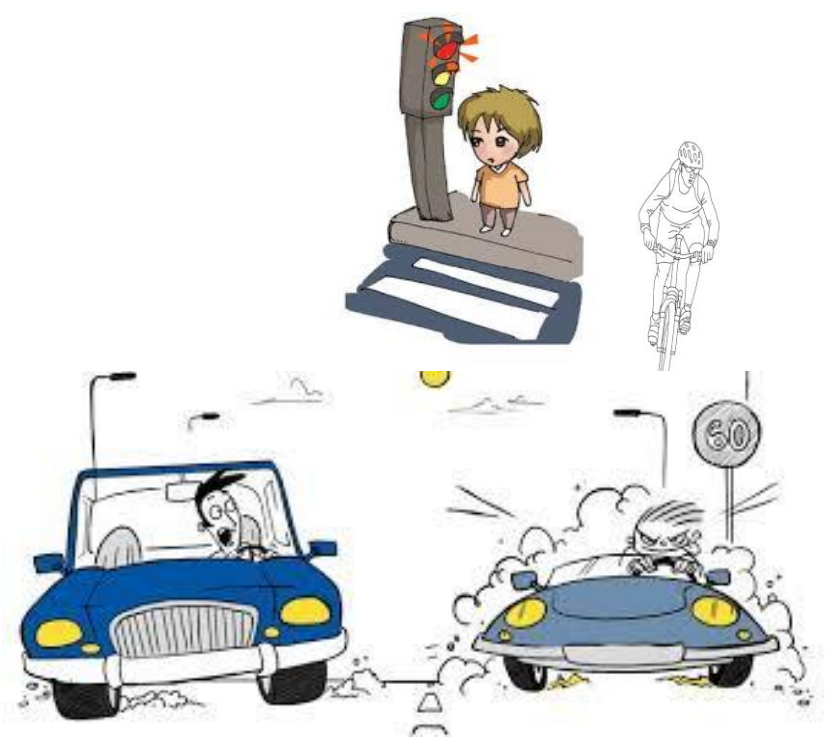
والعنصر الرابع هو عنصر مكمل وداعم للعناصر الثلاثة.

ونظرًا لأهمية هذه العوامل في السلامة المرورية سوف نعرض لها، بصورة موجزة، على النحو الآتي:





أولًا: العنصر البشري (السائق والركاب والمشاة وسائقو الدراجات)



يمثل العنصر البشري أهم عناصر السلامة المرورية، حيث تشير الإحصاءات إلى أن هذا العنصر يعد سببًا في وقوع ما يقرب من (٨٥٪) من مجموع الحوادث المرورية، بينما تعود النسبة الباقية (١٥٪) إلى أسباب أخرى، منها المركبة والطريق.

ويتسع مدلول العنصر البشري في هذا الصدد، بحيث لا يقتصر على قائدي المركبات، سواء تمثلت في السيارات الخفيفة أو الشاحنات الثقيلة والحافلات، وإنما يشمل- بالإضافة إلى ذلك- مستخدمي الطريق بصفة عامة، سواء أكانوا من المشاة، أم قائدي الدراجات النارية والدراجات الهوائية، حيث يسهم هؤلاء جميعًا- وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة- في وقوع الحوادث المرورية.

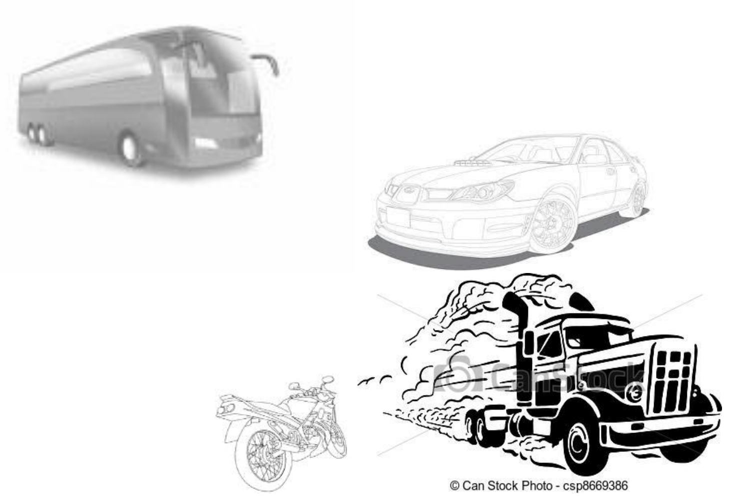


فبالنسبة لقائدي المركبات بأنواعها المختلفة، تتجلى أهم أسباب الحوادث المرورية في أخطاء قائد المركبة، التي قد تتمثل في قيادته المركبة رغم عدم قدرته على قيادتها ابتداء، أو عدم مهارته في القيادة، نظرًا لعدم قدرته على استخدام أجهزة المركبة في التوجيه أو التوقيف أو التنبيه أو الإضاءة، بل وكذلك عدم قدرته على توقع الحدث المروري والتقدير الدقيق للموقف.

وقد تتمثل أخطاء قائد المركبة كذلك في عدم إلمامه بقواعد المرور وآدابه، أو عدم احترامه إياها، أو في تهوره بقيادة المركبة بسرعة تزيد على السرعات المقررة، أو في قيامه بالتجاوز الخاطئ للمركبات على الطريق.

وقد تتمثل أيضًا في قيادته المركبة في حالة من الانشغال أو التشويش الذهني، أو في إصراره على الاستمرار في قيادة المركبة رغم شعوره بالتعب والإرهاق دون التوقف والخلود للراحة، أو في تناول المشروبات الكحولية وتعاطي المخدرات والعقاقير المهدئة، التي تؤدي إلى آثار نفسية وعصبية تؤثر على درجة يقظته أو انتباهه وقدرته على القيادة، وتفضي إلى آثار مأساوية تنعكس بصورة سلبية على قائد المركبة ذاته، وعلى غيره من مستخدمي الطريق الأبرياء، أو عدم استخدامه الأمثل لوسائل الأمان في المركبة، وبصفة خاصة عدم استخدام حزام الأمان، ووضع الأطفال في المركبة بطريقة خاطئة، وعدم مراعاته حالة المركبة، وإهماله عملية الصيانة الدورية لها، وعدم التحقق من صلاحية أجهزة التوجيه أو التوقيف أو التنبيه أو الإضاءة.

ثانياً: المركبة



ارتبطت حركة النقل في المجتمعات الإنسانية ارتباطًا وثيقًا بطبيعة هذه المجتمعات ومدى ما وصلت إليه من حضارة وتقدم. والسيارة اليوم أهم المخترعات التي سجلت على امتداد القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث أحدثت تطورًا هائلًا في مجال نقل الأشخاص والأشياء، وساهمت بصورة فاعلة في تنمية المجتمعات ونهضتها وتقدمها، لاسيما بعد التطور الهائل في مجال صناعة السيارات، بأنواعها وأشكالها المختلفة، منذ الثلث الأخير من القرن العشرين. إذ أصبحت هذه السيارات ذات تقنيات عالية من حيث السرعة وقوة الدفع والسعة والقدرة على تلبية الاحتياجات المتزايدة للمجتمعات في مجال نقل الأشخاص والبضائع، سواءً داخل المدن أو فيما بينها، بل وكذلك بين الدول المختلفة، وذلك بفعالية وتكلفة معقولة.

ورغم ذلك، فقد أصبح للسيارة تأثير سلبي على الإنسان في مجال السلامة المرورية، حيث تحتل المرتبة الثانية بين مسببات الحوادث المرورية.

والحقيقة أن العلاقة الطردية بين ارتفاع معدل الحوادث المرورية من جهة، وازدياد عدد المركبات في المجتمع تؤدي إلى زيادة معدل حركة المركبات على الطرق، وما تسببه من ازدحام وتكدس مروري مع قصور الطاقة الاستيعابية للطرق، بل وكذلك ما يصاحب اقتناء المركبة من إهمال مالكيها التحقق من صلاحيتها والقيام بأعمال الصيانة الدورية لها.

وتتعدد أسباب الحوادث المرورية التي تُعزَى إلى المركبة؛ كعدم الجاهزية الفنية للمركبة، والذي يرجع في أغلب الأحيان إلى إهمال وتقصير قائد المركبة في إجراء الصيانة الدورية، والتأكد من سلامة جهاز الفرامل أو المكابح، وجهاز التحكم في توجيه المركبة، وأجهزة الإضاءة والإشارات الضوئية، وآلة التنبيه، وماسحات الزجاج، وناقل السرعة، والإطارات، وأحزمة الأمان، إلى غير ذلك من الأجهزة. ونقص معامل الأمان في المركبة لأسباب ترجع إلى تصميمها الهندسي؛ كأبعاد المركبة وقوة محركها والتجهيزات الأمنية بها، وخفة الوزن وعدم الثبات على الطريق.



ثالثاً: الطريق

اتخذ الإنسان في تنقلاته، عبر مراحل التطور الحضاري التي شهدها والأنشطة التي مارسها، مسالك عديدة؛ كطرقات الصحراء، والطرق الساحلية وما يتفرع عنها من طرق داخلية، وطرق التجارة البحرية.

وقد تميزت المنطقة العربية، بكثرة الطرق التجارية بها بالنظر إلى موقعها المتميز بين الأمم التي اشتهرت بالتجارة منذ أقدم العصور، فكان العرب وفقا لذلك يقومون بدور الوسيط التجاري بين شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط وشعوب المحيط الهندي، ويسيطرون على طرق التجارة البحرية في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي، كما كانوا يتحكمون كذلك في طرق القوافل البرية.

وقد تطورت الطرق في العصر الحديث تطوراً هائلًا، بحيث أصبح لدى كل دولة شبكة من الطرق البرية تتفاوت من حيث الحجم والمواصفات الفنية القياسية، وتعج بالمركبات بكافة أشكالها وأنواعها؛ كالسيارات الخاصة، والشاحنات الثقيلة، والحافلات، والدراجات بأنواعها المختلفة.

وترجع المسؤولية عن هذه الطرق من حيث الإنشاء والصيانة إلى إدارات الدولة المختصة، ويتم تأمينها ومراقبتها من قبل جهاز الشرطة ممثلًا في الإدارة العامة للمرور.

وتلعب الطرق، في حالتها المثالية، دوراً مؤثراً في مجال تحقيق السلامة المرورية والحد من حوادث المرور، وتتوقف فاعلية هذا الدور على مدى تحمل إدارات الدولة المختصة بإنشاء الطرق وصيانتها من جهة، وتلك المختصة بتأمينها ومراقبتها من جهة أخرى، مسؤوليتها في هذا الصدد؛ كإنشاء شبكات الطرق وفق المواصفات القياسية المناسبة، ووضع العلامات والإرشادات المرورية المناسبة على هذه الطرق، وإضاءتها بما يتلاءم مع طبيعة الطريق والظروف المناخية، والحد من التقاطعات العرضية لاسيما على

الطرق السريعة، واتخاذ التدابير الأمنية المناسبة على الطريق كتثبيت الحواجز الوقائية لاسيما في الأماكن التي تنتشر فيها الحيوانات البرية والتي قد تشكل خطورة على مستعمل الطريق، وتجهيز هذه الطرق بالتجهيزات المناسبة التي تحد من الحوادث المرورية؛ كأجهزة كشف السرعة، ومراكز فحص المركبات وغيرها من التجهيزات، وتنظيم أماكن انتظار السيارات، والتنسيق بين إدارات المرور المختصة بتنظيم حركة المرور في هذه الطرق بما يغطي كافة الطرق داخل المدن وفيما بينها، بما يحول دون وقوع الحوادث المرورية أو يحد على الأقل منها.





وفي المقابل، تفضي أوجه الخلل في مجال إنشاء الطرق وصيانتها من جهة، والخلل في تأمينها ومراقبتها من جهة أخرى، إلى زيادة معدل الحوادث المرورية؛ إذ يمثل الطريق ذاته، حينئذ، أحد أسباب هذه الحوادث، إما لضيق الطريق على نحو يفضي إلى التكدس أو الانسداد المروري نظرًا لقصور طاقته الاستيعابية، أو لافتقاره إلى التصميم الهندسي الدقيق وفقًا للمواصفات القياسية لاسيما عند المنعطفات والتقاطعات والمنحدرات الجبلية، أو لعدم وجود الإضاءة الكافية أو العلامات واللوائح الإرشادية، أو لعدم وجود الحواجز الوقائية على الطرق لاسيما في المناطق الجبلية أو المناطق التي تكثر فيها الحيوانات البرية، أو لعدم إجراء أعمال الصيانة الدورية لهذه الطرق.









رابعاً: التنظيم

خبراء السلامة المرورية في نظرياتهم الحديثة أضافوا إلى العناصر الثلاثة السابقة: (السائق، السيارة، الطريق) عنصرا رابعًا هو (التنظيم) أو الضبط المروري، وتعتبر البلدان التي فيها عنصر التنظيم ضعيفًا من أكثر البلدان ارتفاعًا في عدد الحوادث.

معظم الخبراء اليوم يستخدمون هذا النموذج من عناصر السلامة المرورية: (السائق، المركبة، الطريق، والتنظيم).

ويشمل عنصر التنظيم نواحي كثيرة من بينها:

- تنظيم أوقات التنقل لمستخدمي الطريق (مخططات النقل)، مثال: كأن يتم وضع خطة بفارق زمني بسيط تتابعي لحركة مستخدمي الطريق، مثال: بين (المدارس، الجامعات، الموظفين، المحلات التجارية والمولات.. حسب الأولوية).
- تنظيم المرور: وهو عملية أساسية في منظومة الوقاية من الحوادث لا بد من العناية بها.
- تنويع وسائل النقل واحترام الوقت.
- هندسة الطرق من ناحية التقاطعات ومحاور طرق خارجية (دائرية حول المدن، وممرات المشاة المناسبة) وتأمين مسارات خاصة للدراجات وسيارات الإسعاف والدفاع المدني، وما إلى ذلك.
- تكامل إشارات المرور وتتابعها ووضوح الرؤية.
- كيفية مراقبة المرور وضبط المخالفين، وتأمين أجهزة المراقبة، مثل: (رادار ضبط السرعة، كاميرات المراقبة، عناصر المرور، غرفة مراقبة المرور، إنشاء نظام معلوماتي متكامل يربط المرور بالسيارات على مواقع إلكترونية محددة).
- أنظمة المواصلات الذكية: وتتألف من أجهزة حاسوبية وبرامج ومشغّلين يقومون بمراقبة حركة المرور ويتحكمون بها بشكل أفضل؛ من أجل تحسين حركة المرور

قدر الإمكان. ويقدم نظام المواصلات الذكي عددا من التقنيات لتخفيف الازدحام من خلال مراقبة حركة المرور بواسطة أجهزة مراقبة وكاميرات حية، أو يقوم بتحليل معلومات تصله من هواتف خلوية في مركبات متحركة. واستنادا إلى المعلومات يقوم النظام بإعادة توجيه حركة المرور حسب الحاجة، ويتم إيصال هذه التوجيهات المرورية بواسطة لوحات إلكترونية أو رسائل على الجوالات أو أي طريقة أخرى متوافرة.

- بساطة اللوحات المرورية وتجانسها وتطابقها للواقع.
- الاعتناء بمحطات النقل.
- تأمين مواقف للسيارات وتأمين المساحات الكافية.

وكل يوم يظهر لنا شيء جديد من التكنولوجيا التي ترفد نظام المرور بحلول تنظيمية جديدة لا بد من الاستفادة منها.

إن التنظيم عنصر إضافي وهام في عملية السلامة المرورية، ولا بد من أن نوليه أهمية كبيرة لتوفير السلامة والأمان وضبط الطريق وتنظيم المرور فيه ومحاسبة المخالف.







إن الاعتناء بعناصر السلامة المرورية (البشري والمركبة والطريق والتنظيم) يؤدي إلى منع أو تقليل حوادث السير، وبالمقابل، إهمالها وعدم الاعتناء بها يؤدي إلى زيادة احتمال وقوع الحوادث المرورية.

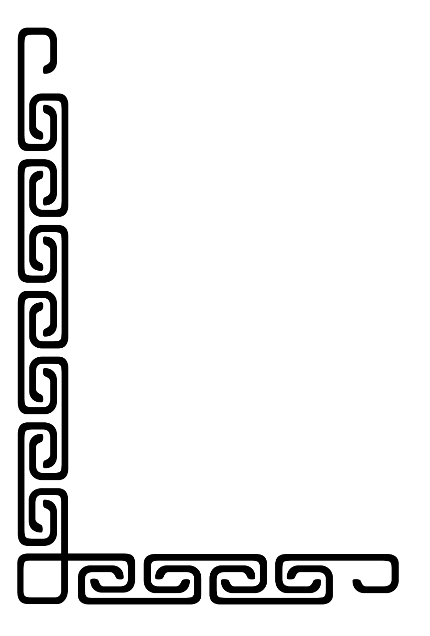


الفصل الثاني

السلامة المرورية

بين

الحاضر و الماضي





السلامة المرورية بين الحاضر والماضي

حينما نجد اليوم أن ثاني أكبر الخسائر البشرية في العالم الإسلامي من حوادث المرور ، حيث تسترخص الدماء وتزهق الأرواح ، ويهدر المال بلا ثمن جراء هذه الحوادث المرورية ، وهذه الظاهرة قد جلبت المتاعب والمآسي والويلات والمشقات غير الهينة على المجتمعات ، وقد طغت واستفحلت ، فلا بد من علاجها ، لأن الحفاظ على الأرواح من أغلى المطالب ، إن لم يكن أعلاها في ديننا الحنيف.

والإنسان أكرم المخلوقات على الله ، خلقه وكرمه وفضله ، قال الله تعالى: {۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠} [الإسراء: ٧٠].

والنفس الإنسانية ليست ملكًا لصاحبها ، أو لأحد من الناس ، وإنما هي ملك لله وحده ، ومن أجل ذلك يجب علينا عدم التسبب في حوادث السير التي تجلب الضرر لنا ، والإضرار والهلاك لغيرنا ، وفي كثير من الأحيان الموت للنفس والغير.

{وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ} [البقرة:١٩٥].

{وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩} [النساء:٢٩].

الإسلام وضع لنا ضوابط وأوامر ونواهي نتبعها ونلتزم بها ، لتصبح حياتنا سعيدة آمنة ، تحفظ النفس والمال ، خاصة فيما نحن بصدده من فهم ووعي مروري وتطبيق قوانين السلامة المرورية ، وذلك للحفاظ على النفس الإنسانية والمال ، وأساس ذلك كله الإيمان بالله وعبادته.

إن الحفاظ على الطرقات وجعلها آمنة سالمة من أهم أولويات المجتمع الإنساني ، ومن باب أولى المجتمع الإسلامي ، لأن الطرق مسالك الناس إلى شؤونهم ، ومعابرهم إلى قضاء حوائجهم ، وهي دروبهم في تحركاتهم ، وتحصيل منافعهم ، وسبيلهم إلى أسواق التجارة وكسب المعاش ، ومنافذهم إلى الجامعات والمعاهد والمدارس ودور العلم والمساجد. وكل أنواع الحركة والتنقلات ، هي عصب الحياة اليومية.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: فَأَمَّا إذا أَبَيْتُمْ إلا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأذى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»[(١)].

ومن حقوق الطريق كف الأذى، وهل هناك أذى اليوم للناس في الطرقات أكبر من أذى حوادث السير، التي تهلك الأرواح وتسبب الإعاقات وتتلف الأموال، وبعضها يخيف المارة.

إن رعاية الطريق وأداء حقه والالتزام بآدابه من أوضح ما اعتنى به ديننا الحنيف، فأعط الطريق حقه راجلًا أو راكبًا أو سائقًا، وأهم حق للطريق الالتزام بقواعد المرور والسلامة المرورية، فلا بد من حسن قيادة السيارة، وفق الأنظمة وإدراك التعليمات، ودقة الالتزام بها، وعدم التساهل في تطبيقها.

{وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴿٣٧﴾} [الإسراء] {وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴿١٩﴾} [لقمان: ١٨، ١٩].

فعليك أن تتحلى بالسكينة والوقار في مشيتك أو في قيادة سيارتك، وأن تكون بعيدا عن الطيش والفخر والكبرياء على الناس وإيذائهم في الطرقات، وعن رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دجانة يتبختر في ساحة القتال قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلاّ في مثل هذا الموطن»[(٢)].

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الجزء أو الصفحة: 4815، حكم المحدث: صحيح.

(٢) (السيرة والمغازي) لابن إسحاق [٥٢٦٩]، ورواه الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد =



رسول الله قال هذا الحديث في موضع محدد (عند القتال) ، ولكن يجب أن نستنبط منه الأحكام في إطلاق معناه وشمولية مقصده.

ابتدأ ﷺ بأن هذه المشية يبغضها الله ، أي بالنفي؛ لأهمية الأمر المنهي عنه ، ألا وهو التكبر في المشي ، سائقًا أو ماشيًا لا فرق ، ثم عقب ﷺ قائلًا: "إلّا في هذا الموطن" ، أي بين صفوف الجنود في الحرب استثناءً ، لكن العموم عدم المشي بهذه الطريقة ، لأن اللّه يبغضها ، ولنلاحظ كيفية استنباط الحكم الشرعي من هذا الحديث وإسقاطه على الواقع:

إذ لا يحق لأحد أن يمشي أو أن يقود سيارته متكبرًا متبخترًا يسرح ويمرح ويفعل ما يشاء في الطرقات ، وإذا لم يدرك المسلمون ولم يفهموا ويتيقنوا أن اللّه لا يحب هذه المشية فنحن إذًا لم نسقط هذا الحديث على واقعنا ، ولم نفهم معناه الشمولي ومدلولاته الخاصة والعامة ، ولم نفهم بعد الإسلام حق الفهم.

قال المناوي في فيض القدير: "التبختر مِشية يبغضها اللّه إلا بين الصفين (الحرب) ، فإذا علمت أن للمواطِن أحكامًا فافعل بمقتضاها تكن حكيمًا".

إنْ لم نفهم مدلولات هذه النصوص والقصص ، ونسقطها على واقعنا ، ونتبع منهجها ، ونعتبر بها ، ونلتزم ما جاء بها ، وننتهي عما نهت عنه ، فنحن لم نفهم الإسلام بعد. بعض المسلمين يعانون اليوم مشكلة كبيرة جدًا ، التناقض بين القول والفعل ، وقلة التزامهم وتنفيذهم لما يسمعونه من مواعظ ، يسمعون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقصص الدينية ويتأثرون بها ، وربما دمعت عيونهم ولانت قلوبهم وخشعت جوارحهم ، ولكن العجب العجاب بعد ذلك ، يخرج أحدهم إلى الطريق وكأن هذه النصوص دخلت من أذن وخرجت من الأخرى ، وكأنها لم توجه له ولم تلامس قلبه ولم تستقر في عقله ، ورحم اللّه من قال: اسمعوا وتعلَّموا ما شئتم ، فلن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم.

= (١٠٩/٦) ، وفي [السيرة النبوية (١٩/٣)]. والمحدث الألباني في صحيح الجامع ٢٢١٧.

إن سيرة ماضينا الصالح مغايرة تمامًا لهذا الواقع الأليم الذي تعيشه اليوم بعض المجتمعات الإسلامية ، فقد كان الواحد من أصحاب رسول الله ﷺ يسارع إلى تطبيق وتنفيذ ما نزل من القرآن الكريم أو ما سمعه من رسول الله ﷺ مباشرة ، دون تأجيل أو تسويف ، استعدادًا لتوجيه آخر وتطبيق جديد.

«عنِ ابن مسعودٍ ﵁ ، قال: كان الرجلُ منا إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ لم يجاوزْهنَّ حتى يعرفَ معانيهن والعملَ بهن»[(١)].

لقد فهم الصحابة والتابعون ، رضوان الله عليهم ، هذه النصوص والقصص فهمًا عميقًا ، وأدركوا مدلولاتها ، وأسقطوها على واقعهم فهمًا وعملًا ، فحينما فهم الصحابة الكرام الإيمان التزامًا ، وتعاملًا ، وانضباطًا ، ومواقف أخلاقيَّة ، وسلوكًا تطبيقيًا ، وتحرِّيًا للحلال والحرام ، بلغوا أعلى درجات الكمال.

هذا الذي يجب أن نضع أيدينا عليه ، الإسلام فيه جانب فكري عقائدي ، بالتعبير الحديث جانب أيديولوجي ، لا يصلح أي عمل دونه ، وجانب أخلاقي وسلوكي واجب التطبيق.

ولعل أعمق وأسبق فهم ووعي مروري في التاريخ الإسلامي ما نقل عن سيدنا عمر بن الخطاب ، ﵁: «والله لو تعثرت بغلة في العراق -هو في المدينة- لحاسبني الله عنها لِمَ لَمْ تصلح لها الطريق يا عمر».

المسلمون اليوم الذين اعتقدوا وتيقنوا وطمحوا وضمنوا الجنة! ، إن لم يؤكد هذا عمل الخير والمعاملة الحسنة والاستقامة على منهج الله ، ومواقف أخلاقية ملموسة ، ولم يعلموا أن الإسلام حياتهم في البيت وعلاقتهم مع الناس ، والمشي في الطريق ، وقيادة السيارة ، وفي كل جوانب الحياة ، فهم لم يفهموا منهج الإسلام بعد ، وهم بعيدون كل

---

(١) الراوي: شقيق بن سلمة ، المحدث: ابن جرير الطبري ، المصدر: تفسير الطبري ، الجزء أو الصفحة: ١/٤٤ ، حكم المحدث: صحيح.

البعد عن منهج الشرع الصحيح.

ومن المؤسف أن المسلمين الذين يخالفون قوانين المرور والسلامة المرورية هم من يشوهون الصورة الاجتماعية للإسلام ، رغم وضوح النصوص الشرعية وجلائها في الحث على الالتزام بالسلامة في طرقاتنا وعدم الإضرار بالنفس والمال.

وقد كثرت المخالفات المرورية والحوادث ، وفسدت طرقاتنا مروريًا ، وهم ، أي الغرب ، قد التزموا القوانين المرورية ، فلم يخالفوا أنظمة المرور ، فصلحت طرقاتهم المرورية ، ترى الواحد منهم يعيب عليك مخالفة سير بسيطة ، وهي محرمة في شرعنا ، ولا يستحي أن يكون مثليًا أو يقيم علاقة محرمة أو عاقًا أو مدمن خمر ، فظنوا أنهم على حق ونحن على باطل ، فأصبحنا فتنة لهم بذلك ، وهذا معنى من معاني هذه الآية الكريمة: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝} [الممتحنة: ٥].

لأن من يسئ قيادة السيارة من المسلمين فقد يتسبب بالفتنة في الإساءة إلى الإسلام ، وفتنة غير المسلمين بالابتعاد عنه ووصفه بما لا يليق به ، وتحميل الإسلام تلك الأخطاء ، والإسلام منها براء. وما جاء عن قتادة يوضح ذلك: «يقول: لا تظهرهم علينا فيُفتنوا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقٍّ هم عليه»(١).

ربما إذا التزمنا بالأمور الحضارية ، والتي في نظرنا صغيرة وفي نظرهم عظيمة كبيرة ، ومنها قواعد المرور والسلامة المرورية ، وصلحت طرقاتنا ، ربما نكون سببًا في هداية الكثير منهم بالابتعاد عن الكبيرة ، ونكون دعاة لله بالسلوك الحسن والعمل الطيب ، لا بالقول فقط.

هناك دول إسلامية وعربية في المراتب المتقدمة من حيث تطبيق القوانين والالتزام بالسلامة المرورية ، وأخرى في المرتبة الأولى عالميًا من حيث عدد حوادث الطرق ، (نقولها والحسرة في قلوبنا) ، وهي تسفر عن إصابات أو حالات وفاة ، فضلًا عن الخسائر الاقتصادية التي تُقدّر بمليارات الدولارات سنويا بلا ثمن ، ولعل من أهم

---

(١) تفسير الطبري ،(٣٢٠/٢٣) ، وصحح إسناده في التفسير الصحيح (٤٧٣/٤).

الأسباب عدم تطوير المفهوم الأخلاقي المروري بما يتلاءم مع مستجدات الحياة المعاصرة ، وعدم تطبيق الأخلاق الإسلامية ، وعدم فهم تعاليم الإسلام المرورية ، واعتقاد بعضهم أن الإسلام لا علاقة له بالسلامة المرورية وأنظمة المرور.

فنحن اليوم بحاجة إلى إيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية ، يقوم على منح بعض الثوابت الأخلاقية الإسلامية معاني جديدة أو اهتمامات خاصة ببعض مدلولاتها ، بغية التخفيف من وطأة التخلُّف الذي يجتاح حياة المسلمين ، فالتقوى مثلًا في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها كي تتناول بعض الفروض الحضارية ، ومنها السلامة المرورية.

إن باب السلامة المرورية من أهم أبواب الأخلاق الحسنة في هذا الزمان ، قد أهمل كثير من المسلمين مراعاته ، والشيطان إنما يدخل على العبد من حيث يمكنه الدخول ، فإنه لا يأتي إلى العبد فيجمل له حادث السير ، وإنما يزين له التفحيط والسرعة وقطع إشارة المرور مثلًا ، فكم قد زلت فيها قدم وسببت حادثًا أليمًا مفجعًا وأزهقت أرواحًا وأتلفت مالًا ، وكم حلت على أسرة وأشقت حياتها إلى دون رجعة ، فالحذر الحذر من وسوسات الشيطان وتجميلاته الخبيثة.

ونرى أيضا أن هناك تناقضًا في شخصية بعض المسلمين ، فقد ترى شخصًا عليه مظاهر الالتزام الديني ، يأمره هذا بالمعروف وينهى ذاك عن المنكر ، ولكن تراه يقود سيارته بسرعة غير عادية أو يخالف بعض أنظمة المرور ، وربما لا يكون متعمدًا ذلك ، وإنما ظن أن ذلك ليست له علاقة بالتعاليم الدينية.

وواجب على الشخصية الإسلامية أن تُصدِّر السلوك والأخلاق الحسنة ، وألّا تستوردها من أي مجتمع آخر.

والحقيقة التي يغفل عنها الكثير ، ولا بد من ملاحظتها ، أن كثيرًا من المسلمين اليوم لا يمثلون الشخصية الإسلامية ، بل بالعكس تمامًا هم من يشوهون هذه الشخصية.

إن الشخصية الإسلامية هي المتزنة والمتكاملة أخلاقيًا ظاهرًا وباطنًا ، ملتزمة بما ورد في الشرع ، وملتزمة بالقوانين الوضعية التي تحقق مصلحة البشر ، ومتزنة دينيًا

ودنيويًا وحضاريًا ، لأنها تبتغي وجه الله في الدنيا ، وتنتظر الأجر منه سبحانه في الآخرة ، فتسير في الدنيا على الصراط المستقيم؛ خوفًا من الزلل على الصراط في الآخرة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ [المؤمنون].

فالشخصية الإسلامية قائمة على الإيمان بالله ورسله ، والتصديق بوعده ووعيده ، متحليةً بآداب الشريعة الكاملة ، من الصدق والأمانة والعفة والحياء والخلق الحسن وحسن الجوار ، والمسارعة في الخيرات ، والإعانة على فعل المعروف ، وكف الأذى ، وكل ذلك قد يصادفه المسلم في الطريق عند قيادته السيارة أو ماشيًا أو راكبًا.

وكف الأذى معناه هنا حسن قيادة السيارة ، والالتزام بقواعد المرور والسلامة المرورية ، وعدم ارتكاب المخالفات المرورية مهما صغرت ، لأن ذلك من المعروف بداهة أنه أذى للمسلمين. إذًا ، للشخصية الإسلامية معالمها التي تعرف بها ، وسماتها الفارقة التي تدل عليها. منها ما بينه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان].

ومنها ما بينه الرسول ﷺ في قوله: «المؤمن يألف ويُؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس»(١).

دوما تذكروا أصحاب رسول الله والتابعين رضوان الله عليهم ، الذين كانت شخصيتهم الإسلامية مثالية ، أولئك الرجال الذين ربّاهم الإسلام ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، واقتدوا بهم ، تلك هي الشخصية الإسلامية التي نتطلع إليها ، وهي ترجو من الله الفوز العظيم وتخاف الخسران المبين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عددًا من الدول العربية والإسلامية ، قد أولت اهتمامًا خاصًا وطبقت أعلى المعايير فيما يتعلق بالسلامة المرورية ، وقد اتخذت أيضًا بعض الإجراءات ، كإدخال برامج السلامة المرورية في المناهج الدراسية؛ لترسيخ سُبل

---

(١) الراوي: أبو هريرة ، المحدث: الألباني ، المصدر: السلسلة الصحيحة ، الجزء أو الصفحة: ٤٢٦ ، حكم المحدث: إسناده حسن.

السلوك الآمن لدى الشباب في مرحلة مبكرة وحمايتهم في حياتهم المستقبلية ، وإشراك الآباء كنموذج هام ومثل أعلى للأطفال في هذا السياق ، ودعمت المؤسسات المعنية بهذا المجال ، وقد وضعت بصمات متقدمة في مجال السلامة المرورية ، مما انعكس بشكل إيجابي وواضح على الالتزام بقوانين المرور وانخفاض معدلات الحوادث والوفيات في تلك الدول وصلحت طرقاتهم مروريًا.

نرجو من الله أن يصلح كل مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، وأن يلتحقوا بركب الدول التي سبقتهم في مجال تطبيق أنظمة المرور ووسائل السلامة المرورية.



الفصل الثالث

مفاهيم أساسية في الشريعة الإسلامية



للسلامة المرورية

مفاهيم أساسية في الشريعة الإسلامية للسلامة المرورية

لقد أسقط العلماء المسلمون كثيرًا من النصوص التشريعية على الواقع المروري لأنها تحتمل ذلك، فالعبرة في النصوص التشريعية عموم القصد لا خصوص السبب.

قال اللّه تعالى: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾} [ص].

إذ إن كثيرًا من الآيات القرآنية سيكون لها مفهوم جديد في المستقبل، وليس معنى جديدًا، فالمعنى واحد لا يتغير ولكن المفهوم يتغير مع تغير الأحوال والمستجدات والضرورة، وهذا واضح وما نحن بحاجة له في هذا العصر وما نحن بصدده.

ومن بين هذه المفاهيم الجديدة:

١- إشارات القرآن والسنة لوسائل النقل الحديثة:

الإنسان مفضل على كثير ممن خلق اللّه، سخر له الكون بأكمله، ومنها حمله على وسائل النقل وبالنعم والرزق في الطيبات قال اللّه تعالى:

{۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾} [الاسراء].

فوسائل النقل هي تكريم ونعمة وفضل من اللّه للإنسان.

وسائل النقل:

هي الوسيلة التي يتم الانتقال بها من مكان إلى آخر سواء للإنسان أو البضائع، وقد استعمل الإنسان النقل منذ القدم حيث تطورت وسائل النقل عبر الزمن من النقل بواسطة الحيوان ومن ثم العربات التي تجرها الحيوانات حتى القطارات والسفن والمركبات ذات المحركات وصولًا إلى وسائل النقل الحديثة.

بعض التواريخ عن تطور وسائل النقل:

- عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد بدأ الإنسان استخدام الحمير والثيران كحيوانات تحميل.
- عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد استخدمت العربات ذات العجلات في بلاد الرافدين.



- عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد اخترع المصريون الأشرعة وصنعوا أول مركبة شراعية.
- من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي أنشأ الرومان أول شبكة موسعة من الطرق المعبدة.
- في القرن التاسع الميلادي ظهر طوق رقبة الحصان الصلب في أوروبا.
- في القرن الثاني عشر الميلادي ابتكر صانعو العربات في أوروبا أولى العربات التي تجرها الخيل.
- في القرن الخامس عشر الميلادي ساعدت التحسينات في بناء السفن على جعل الرحلات الطويلة عبر المحيطات ممكنة.
- ستينيات القرن السابع عشر الميلادي افتتح في باريس أول خط عربات داخل المدينة.
- القرن الثامن عشر الميلادي طور المخترعون البريطانيون المحرك البخاري.
- عام ١٨٠٧م بدأ أول خط سفن بخارية ناجح تجاريًا في الولايات المتحدة الأمريكية.
- عام ١٨٢٥م بدأ أول خط حديدي بخاري ناجح في إنجلترا.
- ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي صنع الألمان أولى المركبات ذات المحركات التي تعمل بالبترول واستخدموها لتشغيل مركبات ذات عجلات.
- تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي صنع المهندسون الفرنسيون أولى المركبات ذات المحركات التي تعمل بالبترول وبأجسام سيارات.

وجاء في الشريعة الإسلامية الإشارة إلى وسائل النقل بأنواعها في الكتاب والسنة:

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل].

فقد أشار القرآن الكريم في سياق حديثه عن نعم الله تعالى على عباده إلى الأنعام والانتفاع بها بشتى أنواع الانتفاع من النقل وغيره، على أن الله تعالى سيلهم الإنسان اختراع وسائل أخرى للمواصلات وللنقل، وقد جاء التعقيب على امتنان الله تعالى بالأنعام بقوله: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل].

قد تكون هذه الآية إشارة إلى وسائل النقل التي ستظهر مستقبلا وتباعا، والله أعلم.

قال بعض أهل العلم: هذه الآية من معجزات القرآن العظيم الغيبية العلمية، فهي إشارة إلى أن الله تعالى سيخلق وسائل أخرى للنقل والمواصلات غير ما ذكر، وغير ما هو موجود في حينها، وهذا ما يشاهده الناس اليوم.

وقوله تعالى: {وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾} [ص]، و {لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾} [الأنعام]، دليلٌ على أن الله تعالى قد ألمح في كتابه العزيز إلى صفة المستقبل في فهم عدد من آيات القرآن الكريم.

وربما قال قائل هنا: إن وسائل النقل الحديثة من اختراع الإنسان، فكيف يقول القرآن: {وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾} [النحل].

قال الطاهر ابن عاشور: «وإلهام الله الناسَ لاختراعها هو ملحق بخلق الله؛ فالله هو الذي ألهم المخترعين من البشر بما فطرهم عليه من الذكاء والعلم، وبما تدرجوا في سلم الحضارة، واقتباس بعضهم من بعض إلى اختراعها، فهي بذلك مخلوقة لله تعالى؛ لأن الكل من نعمته ومن خلقه».

ويقول الدكتور مصطفى يعقوب: «تشير العبارة القرآنية {وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} إلى أن كل ما يصنعه الإنسان من وسائل للنقل سواء أكانت برية أم بحرية أم جوية إنما خالقها هو الله تعالى؛ فالمواد التي يصنع منها الإنسان هذه الوسائل هي من صنع الله تعالى، ومن المعلوم أن أهم عنصر يميز حضارة العصر الحديث هو الحديد، وهذا العنصر نزل من السماء، كما ثبت علميا وفي قول الله تعالى: {وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد: ٢٥].

وقوله تعالى: {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾} [يس].

الفلك من صنع الإنسان وخلقنا من مثله ما يركبون أي مراكب أيضًا من صنع الإنسان ونسبها الله إلى أنه هو خالقها.

وقد يكون في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن رسول الله، ﷺ، أنه سمعه يقول: «يكونُ في آخرِ أمَّتي رجالٌ يركبون في سُرُجٍ كأشباهِ الرِّحالِ ينزِلون على أبوابِ المساجدِ»[1]. وفي حديث آخر: «أربعٌ من السعادةِ: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنيءُ»[2].

إشارة إلى وسائل نقل مستقبلية، إذ قال ﷺ: «سيكون» أي في المستقبل، ولم تكن موجودة حينها لرجال من أمته مراكب يقفون بها جوار المساجد وثيرة لينة وطيئة. وقد يكون في هذا أيضًا إشارة إلى السيارات التي لم تعرف إلا في هذه الأزمنة الأخيرة، ونلاحظ ذكره ﷺ المركب وليس الدابة للشمولية واستشرافا للمستقبل.

وعندما تستعد لركوب الطائرة مثلا يخطر ببالك أدعية تقولها، من بينها دعاء ورد عن النبي، ﷺ: «بسم الله الذي لا يَضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»، وكأن هذا الدعاء قيل في زماننا هذا عصر اختراع الطائرات لأنه لم يكن أحد يصعد السماء سابقًا، ورغم ذلك ورد هذا الدعاء عن النبي، ﷺ.

---

(١) الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، الجزء أو الصفحة: (١٣٥/٣)، حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما].

(٢) الراوي: سعد بن أبي وقاص، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (٢٥٧٦)، حكم المحدث: صحيح.

إذاً، الدلائل واضحة وبينة إلى إشارات الشرع لوسائل النقل الحديثة.

قال الله تعالى: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾} [الأنعام].

وسائل النقل أشار لها الإسلام في كثير من النصوص على أنها نعمة من الله، ومن بينها السيارة، ولكن إذا أسيء استخدامها انقلبت النعمة إلى نقمة، وانقلبت المنحة لمحنة، وهذا حالنا مع السائقين المتهورين المخالفين لأنظمة السير، فالأرقام والإحصاءات وتلال حطام السيارات وعدد الأموات، والمصابون والمعاقون في المستشفيات، والأرامل والأيتام في البيوتات خير دليل على تحويل الكثير من السائقين هذه النعمة إلى نقمة.

كم من حادثة مشؤومة أحلت الأحزان بالقلوب، وأمطرت الأعين بالدموع، ووضعت نهاية أليمة محزنة لأسرة سعيدة، وهذا كله بسبب حوادث السير ومخالفة أنظمة المرور وعدم اتخاذ الأسباب التي تخفف الحوادث، وعدم الالتزام بالسلامة المرورية.

٢- التقوى في السلامة المرورية:

قد يتبادر إلى ذهن البعض أن كلًا من التقوى والسلامة المرورية نشاطان مختلفان ومتباينان، على اعتبار أن التقوى عبادة خالصة لله معتمدة على النصوص الشرعية، بينما السلامة المرورية انعكاس لجهد ولنشاطات وأعمال الإنسان الدنيوية المادية، هذا الاعتقاد خاطئ مرده إلى الفهم القاصر والشائع عن مفهوم التقوى التي يعتبرها البعض من أخلاق الزهاد والورعين فقط، وهذا المفهوم انحراف عن معنى التقوى الحقيقي ومدلولاته الشرعية التي تشمل كل جوانب الحياة.

التقوى كلمة شديدة الأهمية لكثرة ورودها في القرآن وضرورة الالتزام بها وفهمها جيداً واجب علينا، وكلمة (التقوى) معناها القرآني لم يُفقه بدقة عند الكثير.

فكلمة (تقوى الله) من بين معانيها أنها من الفعل (وقى) الذي من معانيه الستر والصون والحذر، والتقوى مأخوذة من (الوقاية)، وهي أن تجعل وقاية وحاجزا وسدا بينك وبين ما يؤذيك وما يضرك أو ما يؤذي وما يضر الآخرين من فعلك.

وحوادث المرور تعد من أكثر الأسباب الموقعة للضرر والأذى على النفس والغير والمال.

تقوى الله الالتزام بفعل ما أمر واجتناب ما نهى؛ لأن التقوى سبب للتيسير والخروج من الشدة، قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤} [الطلاق].

وقال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢} [الطلاق].

فتقوى الله على إطلاقها تُيسر كل أمر وتجعل لكل ضيق مخرجًا، وتقوى الله في السلامة المرورية تيسِر طريقك وتجعل لك مخرجًا من كل ما يعترض طريقك من أذى لتصل إلى هدفك بأمان.

والنبي ﷺ أوصى مسافرًا فقال له: «أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ، والتَّكْبيرِ على كلِّ شَرَفٍ»(١).

والخطر وعدم التقوى هنا يكمن في مسألة استصغار المخالفات المرورية (سرعة زائدة، عرقلة سير، قطع إشارة مرور، إزعاج المارة بصوت المنبه لغير الضرورة، صوت موسيقى مرتفع، إلى آخره) التي تقع من كثير من الناس، ويراها سهلة وليست بشيء.

وقد حذَّر النبي ﷺ من صغائر الذنوب فقال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»(٢).

إن قضية التقوى في السلامة المرورية من صلب الدين، والمؤمن الحق الصادق المتفهم معنى التقوى والمتبصر طبيعة الحياة المعاصرة يجب أن يتقي الله في قيادته

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الجزء أو الصفحة: (١٧٣٠)، حكم المحدث: إسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (مسند أحمد) الجزء أو الصفحة: (٣١٢/٥) الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (٢٤٧٠)، حكم المحدث: صحيح لغيره.

السيارة أو مشيه في الطريق بتطبيق أنظمة المرور والسلامة المرورية وتعليماته، لأنها من القيم الإنسانية الحضارية المعاصرة التي تعكس مقدار حضارة المجتمع الإسلامي ورقيه.

التقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها كي تتناول بعض الفروض الحضارية ، ومن بين هذه المستجدات المعاصرة والملحة والهامة مفهوم السلامة المرورية، وتطبيق قواعد المرور، لما في ذلك من حفظ مصالح المسلمين وحياتهم وأموالهم وطاعة لله ورسوله ولأولي الأمر.

إذاً، هذه القيم الحضارية لها أصول واضحة وصارخة في ديننا الحنيف، لكن تحتاج إلى بعض التطوير والفهم الحضاري لها، ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة إلى قيم ومفاهيم حضارية حديثة لها أصول في ديننا وفي قرآننا وفي سنة نبينا.

الإسلام إيمان وحياة، ومن الإيمان تقوى الله، وقيادة السيارة تحتاج إلى تقوى الله لتصلح حياتنا، بل حينما أقود السيارة قيادة رشيدة فأنا أجنب الآخرين الضرر، وإزهاق الأرواح بلا ثمن، أنا أحقق أحد أكبر مقاصد الشريعة، وأحقق مفهوم التقوى ، فلذلك ما لم نفهم القصد من التشريع، وما لم نستوعب الثقافة المعاصرة، وما لم نسقط منهجنا الرباني وتفصيلاته النبوية على قضايانا المعاصرة، فلن يكون الإسلام دين الحياة. والإسلام في الحقيقة هو دين الحياة، لأنك تقدم من خلاله ما يجعلك في الآخرة في حياة خالدة في جنة الخلد.

لا بد من الانتباه والحذر وتقوى الله حتى لا نقول، لا سمح الله: {يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾} [الفجر].

والخلاصة:

التَّقوى شعبة كبرى من شعب الإيمان التي تتفرَّع عنها قيم أخلاقية إيمانيَّة لا حصر لها ومن بينها تقوى الله في قوانين المرور والسلامة المرورية وذلك بالالتزام بتطبيق هذه القوانين والابتعاد عن المخالفات المرورية.

والتَّقوى في قوانين المرور والسلامة المرورية قيمة عظمى توحّد الشخصيَّة الإسلامية بكل نشاطها واتّجاهاتها في الطريق ومراقبة الفرد اللّه في سلوكه وسيره سواء أكان (ماشيًا أم راكبًا أم قائدًا مركبة). ولها جانبان: جانب الفعل وجانب الترك.

الأول: جانب الفعل المتمثل في تطبيق قواعد المرور والسلامة المرورية، سواء أكان مراقَبًا أم غير مراقَب من أجهزة المرور أو رجال المرور أو غيرهم.

والثاني: جانب الترك المتمثل في ترك المخالفات المرورية صغيرها وكبيرها، سواء ظن أم تيقن أن هذه المخالفات لن يعاقب عليها ولن تؤدي إلى حادث سير، لأنه يعلم علم اليقين أن اللّه مطلع عليه ويراقبه في ظاهره وباطنه وبشكل دائم. فاستدامتنا لهذا العلم هو المراقبة، والتعبد للّه تعالى باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير الخبير الشهيد وما إلى ذلك من الأسماء. حسب قول ابن تيمية رحمه اللّه.

ويقول الحافظ ابن القيم رحمه اللّه في نونيته: وهو الرقيب على الخواطر واللواحظ كيف بالأفعال والأركان، يعلم خطرات النفوس ولحظ العيون كيف بالحركات والأفعال الظاهرة.

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد اللّهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

٣- الثواب في تطبيق السلامة المرورية:

الشريعة الإسلامية لم تترك شيئًا إلا وجهت إليه أو وجهت فيه وحضت على الفعل الحسن بالثواب ونهت عن الفعل السيئ بالوزر والعقاب، وقد نوه الإسلام حتى إلى قيادة الدابة والتي تعادل السيارة اليوم وخصها بالذكر:

---

(١) الراوي: أبو ذر وأبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الجزء أو الصفحة: (٥٠٠٦)، حكم المحدث: صحيح.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخيلُ لثلاثةٍ: هِيَ لرُجلٍ أجر، ولرُجلٍ سِتْرٌ، وعلى رجلٍ وِزرٌ»(١).

يمكن إسقاط هذا الحديث على السيارة اليوم، حيث إن الخيل تعادل السيارة اليوم، لك الأجر في استخدام السيارة فيما ينفعك وينفع الناس، وأنت تقود سيارتك لا بد من الالتزام بقواعد السلامة المرورية من مفهوم الثواب والأجر لأنك تحرص على عدم إلحاق الضرر أو الأذى، وتبتغي وجه الله والحسنة في الدنيا والآخرة.

ولا بد للمسلم أن يشعر بحلاوة الإيمان وتجتاحه نوبة إيمانية، وحلاوة الالتزام من خلال القيام بتطبيق أنظمة المرور والسلامة المرورية، كما تشعر تماماً عندما تقضي حاجة أخيك المسلم أو عندما تضع صَدَقة في يد فقير، أو عندما تقوم الليل لتصلي والناس نيام، وما يدريك ربما يكون تطبيق أنظمة السلامة المرورية في الشارع (الطريق) أعظم من أفعال خيرية كثيرة في الشرع، وهذا مصداق ما جاء عن رسول الله ﷺ في إماطة الأذى عن الطريق وأنه من شعب الإيمان، وأنه من محاسن الأعمال وجميل الخصال. قال ﷺ: «عُرِضَت عليَّ أعمالُ أمَّتي، حسنُها وسيِّئُها، فوجدتُ في محاسنِ أعمالِها الأذى يماطُ عنِ الطَّريقِ، ووجدتُ في مساوئ أعمالِها النُّخاعةَ تكونُ في المسجدِ لا تدفَنُ»(٢).

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٣٣٥٢)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٥٥٣)، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الأدب المفرد، الجزء أو الصفحة: (١٧٠)، حكم المحدث: صحيح.

وقال أيضًا: «مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شجرةٍ على ظَهْرِ طريقٍ، فقال: واللّه لَأُنَحِّيَنَّ هذا عن المسلمينَ، لا يُؤْذِيهِم، فأُدْخِلَ الجنةَ»[1].

وفي حديث آخر قال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ في وجْهِ أخيك لكَ صدَقَةٌ، وأمرُك بالمعروفِ ونهيُك عن المنكرِ صدقةٌ، وإرْشادُك الرجلَ في أرضِ الضَّلالِ لكَ صدَقَةٌ، وإماطَتُك الحجرَ والشَّوْكَ والعظْمَ عن الطَّريقِ لكَ صدَقَةٌ، وإفراغُك من دَلْوِك في دَلْوِ أخيكَ لكَ صدَقَةٌ»[2].

إن تطبيق المسلم مفهوم السلامة المرورية يجب أن يختلف عن غيره من البشر؛ لأنه يستشعر أن اللّه هو الذي يراقبه وليس البشر أو من وضع قوانين المرور. الذي يراقبه اللّه الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يستشعر المسلم عظمة اللّه، ويعلم أنه مثاب على ذلك علمًا يقينًا.

من هنا نجد أن تطبيق قواعد المرور حالة إيمانية رائعة، وواجب إسلامي رفيع، ومظهر حضاري يعكس جمال المجتمع المسلم ورقيه، وهو من أهم الجوانب الاجتماعية والمعاشية اليومية سهلة التطبيق في رجاء الثواب من اللّه تعالى.

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (١٩١٤)، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٥٨٦٣)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الترمذي، المصدر: سنن الترمذي، الجزء أو الصفحة: (١٩٥٦)، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٢٩٠٨)، حكم المحدث: صحيح.

٤- العقاب في المخالفات المرورية:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الخيلُ لثلاثةٍ: لرجلٍ أجر، ولرجلٍ سترٌ، وعلى رجلٍ وِزرٌ»[١].

كما أنك تكتسب الثواب والحسنات في حسن استخدام السيارة، وفي الالتزام بتطبيق أنظمة السلامة المرورية، بالمقابل تجترح السيئات ويتوجب عليك العقاب إذا أسأت استخدام السيارة، وخالفت أنظمة السلامة المرورية، خاصة إذا تسببت في ضرر بشري ومادي لنفسك ولغيرك.

إذا كنت ذاهبا إلى المسجد في سيارتك لأداء الصلاة فأنت مثاب على هذا العمل، ولكن إذا كنت تقود السيارة برعونة وتؤذي هذا وتضيق الطريق على آخر، وتزعج الناس بصوت المنبه، وتشتم هذا، وتوقف سيارتك أمام المسجد، وتغلق الطريق على غيرك بحجة أنك تريد اللحاق بصلاة الجماعة، فيا ترى هل هذا من الإيمان والحرص على ثواب الجماعة؟.

أمعن النظر، واقرأ وتفهم هذا الحديث: عن سهل بن معاذ عن أبيه ؓ قال: «غزونا مع النبي ﷺ، فضيق الناس المنازل، أي قطعوا الطريق بتضييقها على المارة، فبعث رسول الله مناديًا ينادي في الناس: «من ضيق منزلًا أو قطع طريقًا فلا جهاد له»، وفي رواية «أذى مؤمنًا»[٢].

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٧٣٥٦)، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٣٣٥٢)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: معاذ بن أنس الجهني، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: (٦٣٧٨)، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

انظر أخي المسلم إلى هذا الحديث وخطورة ما جاء فيه، مخالفة بسيطة وهي تضييق طريق على الناس، في عرفنا اليوم (عرقلة سير) مخالفة بسيطة، لكن بسببها ذهب ثواب الجهاد في سبيل الله، وهو أعظم عمل يقوم به المسلم.

ويستهين بها الكثير من المسلمين اليوم خاصة عند أبواب المساجد، حيث يجب أن يكون المسلم حضاريًا في هذا المكان أكثر، لأنه بيت الله وصورة خارجية للإسلام والمسلمين، فما بالك في الأماكن الأخرى.

وقد قال الله تعالى في سورة النور: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾} [النور]. ومن العجيب أنّ من أسباب نزول هذه الآية الكريمة حادث سير. فقد أورد السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور عن سيّدنا علي بن أبي طالب ﷺ قال: مرّ رجل على عهد رسول الله ﷺ في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه، فوسوس لهما الشيطان أنّه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجابا به، فبينما الرجل يمشي إلى جنْب حائط ينظر إليها، إذا به يضرب بوجهه الحائط فشق أنفه. فقال: والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله ﷺ فأعلمه أمري، فأتاه فقص عليه قصّته. فقال النبي ﷺ: «هذا عقوبة ذنبك». وأنزل الله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور].

تسبب لنفسه في أذى بسبب انشغاله عن الطريق بمنكر (حادث مروري) والأذى الذي لحق به عقوبة لذنبه حسب منطوق الحديث.

وما نقل عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: «والله لو تعثرت بغلة في العراق- هو في المدينة- لحاسبني الله عنها لِمَ لَمْ تُصلح لها الطريق يا عمر»[١].

أي هناك محاسبة ربانية على من يتسبب في حادث سير إذا كان سائقًا أو ماشيًا أو

(١) أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٢٦).

مسؤولًا عن إصلاح طريق ولم يصلحه أو تنظيم سير ولم ينظمه.

بعد هذا كله من هذا العاقل الذي يظن أن الله لن يعاقب من تعمد إيذاء الناس في طرقاتهم، بإدخال الفزع والهلع أو بأصوات التفحيط واللف والدوران والسرعة الزائدة، وبقطع إشارات المرور، وتسبب ذلك في إحداث الأذى للعباد والمسلمين.

أخرج الطبراني من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم»[1].

والقاعدة الشرعية نستنبطها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: «لا ضرر ولا ضرار»[2].

وأي ضرر أكبر من ضرر حوادث المرور، وقد دل هذا على تحريم إيصال الضرر إلى الناس بغير حق في أبدانهم وأعراضهم وأولادهم وأموالهم، وفي الحديث الآخر: عن أبي صِرْمَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من ضارَّ ضارَّ الله به. ومن شاقَّ شَقَّ الله عليه»[3].

---

(١) الراوي: حذيفة بن أسيد وأبو ذر، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: (٥٩٢٣)، ونقله السيوطي في الجامع الصغير، وحكم عليه بأنه: حسن.

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: النووي، المصدر: الأربعون النووية، الجزء أو الصفحة: (٣٢)، حكم المحدث: حسن.

(٣) الراوي: أبو صرمة مالك بن قيس المازني. المحدث: الترمذي، المصدر: سنن الترمذي، الجزء أو الصفحة: (١٩٤٠)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (١٩٤٠)، حكم المحدث: حسن، حكم المحدث: حسن غريب.

إن إضرار الناس في طرقاتهم بمخالفة أنظمة السير بما يعرضهم للخطر والمشقة ذنب لا بد أن يستسمح منه الآخرين والتوبة منه واجبة.

من استقام على أمر الله سلم وسعد في الدنيا والآخرة، وعندئذ يكون قد حقق الهدف من وجوده ألا وهو عبادة الله.

قال الله تعالى: {مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾} [النساء].

إن المتأمل لهذه النصوص الشرعية يدرك أن المخالف لأنظمة المرور والسلامة المرورية آثم وعاصٍ، لأن أنظمة وقوانين السلامة المرورية وضعت لمصلحة الفرد والمجتمع، ولأنها توفر الأمن والسلامة لمستخدمي الطريق.

وبعد هذا كله يظن المسلم أنه لن يحاسب على مخالفته أنظمة المرور وعدم الالتزام بقوانين السلامة المرورية ولو لم يتسبب في الأذى لأحد لأنه لا يعلم الغيب وأنه ليس لديه إجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه بشكل دائم:

هل سأنجو ولا أؤذي أحدًا في نفسه وماله إن ارتكبت مخالفة مرور أم سأتسبب في حادث لا أعلم نتائجه؟

الجواب: في علم الغيب، ولا أحد يعلم الغيب، فالواجب إذًا، عدم المخالفة، ولأن كل من تعرض لحادث سير لم يكن يتوقعه.

٥- الأخذ بأسباب السلامة المرورية واجب شرعي:

الأخذ بالأسباب من الأمور الواجب تطبيقها في السلامة المرورية، وربما هي الأهم على الإطلاق.

وحوادث المرور ليست حتمية الحدوث، سواء اتخذ السائق الأسباب أم لا، كما يتوهم بعضهم، هذا تصور مرفوض في الفكر الديني، وفي العقيدة الإسلامية الصحيحة، فلا بد من حركة وقائية استباقية، وعلى الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي توصله إلى النتائج الصحيحة، فهو يأخذ بالأسباب التي تنفعه، وتنأى به عما يضره، ويأخذ

بالأسباب التي تنجيه من أي مكروه أو الوقوع في أي زلل أو تعرضه إلى أي خطر أو ضرر من أي حادث.

والمسلم محاسب إن لم يتخذ الأسباب.

وسنعرض بعض الأمور التي توضح ذلك.

سنة الله في الكون قانون وضعه الله لخلقه أن جعل لكل شيء سببًا.

{ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾} [الفرقان].

وقد يخرق الله تعالى هذا القانون للأنبياء معجزة لهم، وللأولياء كرامة لهم، ولكن الأصل اتخاذ الأسباب في كل شيء، ولنعلم أن الله هو واضع الأسباب ويخرقها حيثما وحينما يشاء.

فسخر الرياح لسيدنا سليمان، والبراق لسيدنا محمد، والنار بردًا وسلامًا على سيدنا إبراهيم، وشق البحر لسيدنا موسى، وأحيا الموتى لسيدنا عيسى ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، كل ذلك بإذن الله. وهذه حالات خاصة أخبرنا الله عنها، وحددها لنا؛ لنعلم أن خرق الأسباب محدود منه لحكمة ابتغاها واتخاذ الأسباب هو الأساس في حياتنا الدنيا.

وهذا مصداق قوله تعالي: {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾} [الكهف].

إن القضاء والقدر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب، إذًا، الأخذ بالأسباب واجب، وتركها معصية، والاعتماد عليها فقط شرك.

وهل في الأرض كلها إنسان يستحقُ النصرَ والتأييد والعون من الله أكثر من رسول الله؟ أكمل إنسان رسول الله، يوحى إليه، جاء بالإسلام، ومع ذلك ما فرّطَ في الأخذ بالأسباب قيدَ أنملة، وقصة الهجرة من مكة إلى المدينة مثال واضح وصارخ على الأخذ

بالأسباب، حيث جلس رسول ﷺ مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يخططان لأمر الهجرة، يحسبان لكل خطوة حسابها، فوضعا سويًا خطة بارعة توفر أفضل الفرص للنجاة.

لقد استنفد الرسول ﷺ الوسع في الخطة هو والصديق رضي الله عنه.

خطة محكمة وإجراءات متعددة وحرص تام من رسول الله ﷺ على اتخاذ الأسباب التي تؤمن حياته خلال هذه الرحلة.

إن الله تعالى ، قادر على أن ينقله من مكة إلى المدينة بلمح البصر، لكنها سنة الله في الكون وتعليمًا لنا على الأخذ بالأسباب ومن ثم التوكل على الله.

عندما حان وقت الرحيل، اكتشف رسول الله ﷺ المفاجأة، أحاط المشركون ببيت رسول الله ﷺ إحاطة كاملة، وجاءوا قبل الموعد الذي ظن رسول الله ﷺ، أنهم يجيئون فيه.

حينها نزل الوحي إلى رسول الله ﷺ يطمئنه، بأن الله معه، وهنا نرى أن العناية الربانية تدخلت بعد الأخذ بالأسباب، ويأمره بالخروج وسط المشركين دون خوف ولا وجل، فسوف يأخذ الله، بأبصارهم، وخرج الرسول، ﷺ، وهو يقرأ صدر سورة يس من أولها إلى قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾} [يس]، وأيضًا خلال الرحلة حدثت معجزات كثيرة على يد سيدنا محمد ﷺ ليجتمع الأمران الأخذ بالأسباب والعناية الربانية.

إن الطابع المميز لخطط البشر أنها لا تصل إلى الكمال، لا بد من ثغرات، لكن إذا كنت مستنفدًا وسعك الحقيقي في اتخاذ الأسباب كاملة فإن الله، يسدُّ هذه الثغرات بعلمه، ويكمل العجز البشري بقدرته، لكن دون الأخذ بالأسباب بل بكل الأسباب الممكنة لا يسد الله هذه الثغرات، ولا يكمل هذا العجز. أما أن يقول الإنسان توكلت على الله دون الأخذ بالأسباب فهذا لا يكون توكلًا على الله، بل تواكلًا، وشتّانَ بين التوكل والتواكل.

قال الله تعالى: {ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِى ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾} [الفرقان].

الله خالق كل شيء وقدره تقديرا ولم يتركه عبثيًا، إن الله قدر لكل شيء خلقه نظامًا وترتيبًا، خلقه بقدر، هناك سُنن، هناك أسباب، هناك مُسببات، هناك نتائج، فإذا كانَ تصميم الكون وفق الأسباب والنتائج، وفقَ التقدير الدقيق، وفق الحساب الدقيق، وفق النظام الرائع، أنتَ أيها المسلم يا من تدعي أنكَ مؤمنٌ بالله، هل يليق بك أن تُهملَ نظام الله تعالى؟ أن تُهملَ هذه السُنن؟ أن تُهملَ هذه المعطيات؟ ألاّ تبالي بهذه القواعد؟ ألاّ تبالي بهذا التقدير؟.

أوضح الأمثلة على ذلك مثال أورده أحد العلماء الدعاة: تركب مركبتك، وفي لوحة البيانات (التابلو) تألق ضوءٌ أحمر (لمبة الزيت)، إذا فهمت أن هذا التألق تألقٌ تزييني، وتابعت السير، احترق المحرك، وتوقفت المركبة، وتعطلت الرحلة، وفاتك الهدف، ودفعت مبلغًا كبيرًا لإصلاح المحرك، أما إذا فهمت أن هذا التألق تألق تحذيري، فأوقفت المركبة، وأضفت الزيت، سلم المحرك، وتابعت السير، وحققت الهدف.

هذا المثل على بساطته يوضح كل شيء، الخطأ بالفهم، الخطأ بالتصور.

{قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾} [الكهف].

من هنا نكرر القول إن حوادث المرور ليست حتمية الحدوث، سواء اتخذ السائق الأسباب أم لم يتخذها كما يتوهم بعضهم، هذا تصور مرفوض في الفكر الديني، وفي العقيدة الإسلامية الصحيحة، فلا بد من حركة وقائية استباقية، والمسلم محاسب إن لم يتخذ أسباب الوقاية والأمان والسلامة لتجنب حوادث السير.

ومن اتخاذ الأسباب لتلافي وقوع حوادث السير في السلامة المرورية:

- الصيانة الدورية للسيارة وتفقد حالتها الفنية بشكل مستمر.
- عدم مخالفة أنظمة المرور والسلامة المرورية.
- يقظة ومهارة السائق.
- إصلاح الطرقات من جميع الجوانب.

وسنعرض لها بإيجاز لاحقًا إن شاء اللّه.

إن أكثر الحوادث على الطرق بسبب عدم فهمنا معنى اتخاذ الأسباب، حوادث السير هي ثاني أهم أسباب الوفيات.

لماذا حوادث المرور في بلاد الغرب أقل من حوادث المرور في بلاد المسلمين؟

مجرد وجود هكذا سؤال يرتب علينا نحن المسلمين مسؤولية كبيرة.

هم التزموا بقوانينهم الوضعية ونحن ابتعدنا عنها وظننا أنها ليست من الدين ومن الشريعة الإسلامية وأهملنا الأخذ بالأسباب.

أم لأننا فصَلنا ديننا عن الحياة اليومية وظننا أن المخالفات المرورية لا علاقة لها بالثواب والعقاب ولا بالأخذ بالأسباب.

والكثيرون الذين يذهبون ضحايا حوادث الطرق، يموتون ويتركون وراءهم المعاناة والألم لأسرهم وأقربائهم، وتترمل نساؤهم وييتم أطفالهم، أو يصابون بعاهات تقلب حياتهم إلى جحيم لا يطاق، وحياة من يلوذ بهم إلى مآسٍ، وأحزان. هذه حقائق محزنة، ولكنها أفضل من الكذب على أنفسنا والعلاج أبسط مما نتوقع.

إذاً، الأخذ بالأسباب في السلامة المرورية واجب شرعي ومن سنن الكون التي سنها اللّه تعالى للناس أجمعين.

٦- الالتزام بالسلامة المرورية واجب شرعي:

أكد الإسلام على عدد من القيم التي يجب استشعارها في حياة الإنسان، كما اتضح سابقا، وذلك لتساعده في ضبط سلوكه، ومن ذلك طريقته في قيادة سيارته

وسلوكه في الطريق، وإصلاح الطرقات وتنظيم السير.

ومن هذه القيم التي يجب حضورها إدراك غاية خلق الإنسان وهي عبادة الله، واستحضار هذه العبادة في كل سلوكيات الإنسان وأفعاله، وهذا ترجمة حقيقية لقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦} [الذاريات]. وهذه العبادة أمر واجب محتم، وكل ما يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية هو واجب، وأما ما يخل بها فهو محرم، ولا شك أن مراعاة السلامة المرورية مما يعين على تحقيق غاية العبادة، ويحقق سلامة هذه العبادة؛ إذ لا يجتمع صلاح العبادة والإفساد في الأرض بوجود اللامبالاة في قيادة السيارة، أو عدم تطبيق آداب الطريق أو عدم إصلاح الطريق أو عدم تنظيم السير.

الشريعة الإسلامية، والحمد لله، تستوعب كل مشاكل العصر وتواكب مستجداته، ولا ريب أن الإسلام يراعي الجوانب الفردية، والمتمثلة في جوانب العبادات والمعاملات الشخصية، وبين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أو المسؤولة عن تنظيم المجتمع، والسلامة المرورية التي تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان في خط سيره اليومي ليصل إلى مكان عمله أو وجهته سواء كان ماشيًا أو راكبًا أو يقود سيارته، وتندرج تحت المبدأ الفردي والجماعي والذي يؤدي إلى استخلاص القواعد المرورية التي تحفظ النفس والمال، وضمن ذلك يتم ضبطها لتراعي مصلحة الإنسان وليس إضراره.

أكد كثير من العلماء أن الحوادث المرورية هي جناية في الشرع، وتبعا لذلك عليه تبعات هذه الجناية دينيًا ودنيويًا حسب الحال التي وقع عندها الحادث، وهناك بعض الحوادث التي يلزم وجود أحكام لها.

ولذلك بحث مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي بعض الأحكام المتعلقة بحوادث المرور المعاصرة، بعد اطلاعه على البحوث التي وردت إليه بهذا الشأن واستماعه للمناقشات العلمية التي دارت حوله، وبالنظر إلى تفاقم حوادث السير

وزيادة أخطارها على أرواح الناس وممتلكاتهم، واقتضاء المصلحة سن الأنظمة المتعلقة بترخيص المركبات بما يحقق شروط الأمن كسلامة الأجهزة وقواعد نقل الملكية ورخص القيادة والاحتياط الكافي بمنح رخص القيادة بالشروط الخاصة بالنسبة للسن والقدرة والرؤية والدراية بقواعد المرور والتقيد بها وتحديد السرعة المعقولة والمحمولة.

وقد قرر مجمع الفقه الإسلامي ما يأتي:

أولًا: أن الالتزام بتلك الأنظمة التي لا تخالف أحكام الشريعة الإسلامية واجب شرعًا، لأنه من طاعة ولي الأمر فيما ينظمه من إجراءات، بناءً على دليل المصالح المرسلة، وينبغي أن تشتمل تلك الأنظمة على الأحكام الشرعية التي لم تطبق في هذا المجال.

ثانيًا: الحوادث التي تنتج عن تسيير المركبات تطبق عليها أحكام الجنايات المقررة في الشريعة الإسلامية، وإن كانت في الغالب من قبيل الخطأ، والسائق مسؤول عما يحدثه بالغير من أضرار، سواء في البدن أم المال إذا تحققت عناصرها من خطأ وضرر، ولا يعفى من هذه المسؤولية إلا في الحالات الآتية:

- إذا كان الحادث نتيجة قوة قاهرة لا يستطيع دفعها، وتعذر عليه الاحتراز منها، وهي كل أمر عارض خارج عن تدخل الإنسان.
- إذا كان بسبب فعل المتضرر المؤثر تأثيرًا قويًا في إحداث النتيجة.
- إذا كان الحادث بسبب خطأ الغير أو تعديه، فيتحمل ذلك الغير المسؤولية.

ثالثًا: ما تسببه البهائم من حوادث السير في الطرقات يضمن أربابها الأضرار التي تنجم عن فعلها إن كانوا مقصرين في ضبطها، والفصل في ذلك إلى القضاء.

رابعًا: إذا اشترك السائق والمتضرر في إحداث الضرر كان على كل واحد منهما تبعة ما تلف من الآخر من نفس أو مال.

خامسًا: مع مراعاة ما سيأتي من تفصيل:

- فإن الأصل أن المباشر ضامن ولو لم يكن متعديًا، وأما المتسبب فلا يضمن إلا إذا كان متعديًا أو مفرطًا.
- إذا اجتمع المباشر مع المتسبب كانت المسؤولية على المباشر دون المتسبب إلا إذا كان المتسبب متعديًا والمباشر غير متعد.
- إذا اجتمع سببان مختلفان كل واحد منهما مؤثر في الضرر، فعلى كل واحد من المتسببين المسؤولية بحسب نسبة تأثيره في الضرر، وإذا استويا أو لم تعرف نسبة أثر كل واحد منهما فالتبعة عليهما في السواء.

مما سبق نرى أن تطبيق السلامة المرورية له انعكاس واضح في ديننا الإسلامي الحنيف وجزء من شريعتنا الغراء وواجب شرعي.

٧- فقه النوازل والمصالح المرسلة وسد الذرائع ودورها في الأحكام الشرعية في السلامة المرورية:

فقه النوازل:

هو علم شرعي يقصد به معرفة الحوادث التي تحتاج إلى حكم شرعي. وهي عبارة عن مؤلفات فقهية حرّر مادتها العلمية قضاة أو مفتون أو مُشَاوَرون في موضوع أحداث واقعية رفعت إليهم للبت فيها أو لبيان الحكم الشرعي فيها.

هو باب في الفقه الإسلامي يخص المستجدات والوقائع لاستيعابها وإعطاء الحكم فيها عبر فقه النوازل، فهو يؤكد ويبرهن بجلاء على قدرة الشريعة الإسلامية على استيعاب مستجدات العصور ومواكبة التغيرات، انطلاقا من قواعد الشريعة وأصولها العامة ومقاصدها للوصول إلى فهم سديد للمقصد الإلهي من نصوص الوحي، مع ضمان تنزيل هذا المقصد الإلهي بطريقة سليمة في واقع حياة الناس وحركتهم، وصولا إلى تحقيق قيومية الدين على الواقع، وتسديد الحياة وإصلاحها بتوجيهات الوحي وسمو تعليماته.

إن إدراك فقه النوازل باب جليل القدر، وهو يعتمد على منهج رفيع من مسالك الفقه الإسلامي والمتمثل في رعاية المقاصد الكبرى للشريعة وضمان ربط الأحكام بها، وفهم الغايات من كل حكم شرعي وكذلك الأحكام التشريعية.

تَعرُّف الفقيه على مسائل النوازل المعاصرة، واسترشاده بمقاصد الشريعة وأصولها في بيان حكمها باب يمكن توظيفه في أحكام المرور والحوادث والسلامة المرورية، وذلك يتم بمراعاة المصالح الشرعية لاسيما الضرورية منها، وهذا كله يسهم في تحقيق مصالح الدين والدنيا، وعليه لا يمكن انفراد مصلحة منهما دون الأخرى، فإذا فقدت مصالح الدين فلن تسير مصالح الدنيا على استقامة وطريقة سليمة، بل يؤدي ذلك إلى فساد الحياة. وتشكل المقاصد الكبرى المتمثلة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ضابطًا لكثير من أفعالنا وأقوالنا، ومنها طريقة استعمالنا الطرق ووسائل النقل.

المصالح المرسلة:

هي جلب المنفعة المقصودة من الشارع الحكيم، وإن لم يصرح بأن دفع الضرر يُعدّ من المصلحة أيضًا، إلا أن هذا تعريف ينوه به ويلزم منه الاجتهاد فيما لا نص فيه. وقد تم تعريفها وهي مصلحة لم يشهد الشرع لها لا باعتبار ولا بإلغاء. ولذلك سميت مرسلة.

- تنقسم المصالح من حيث مقصود الشارع إلى ثلاثة أقسام:

١- ضرورية: وهي التي ترجع إلى حفظ النفس، والعقل، والمال، والدين، والعرض، والنسب، وإذا اختل منها أمر اختلت المعايش وعمت الفوضى.

٢- حاجية: وهي الأمور التي تقتضيها سهولة الحياة، أو ما أدى إلى حرج كبير من غير خوف على فوات ما سبق من المصالح الستة.

٣- تحسينية: وهي الأمور التي تجعل الحياة في جمال، ومرجعها إلى تهذيب الأخلاق وتحسين الصورة والمعاملات.

وأحكام السلامة المرورية شملت الحالات الثلاث الضرورية والحاجية والتحسينية،

فوضِعت لتدفع الضرر عن المسلمين وتحفظ أموالهم وأنفسهم وتحسن طرقاتهم وتسهل حياتهم وتجمل مدنهم.

لذلك أُدرجت بعض أحكام الطرق والمرور تحت إطار المصالح المرسلة، والعلماء اعتمدوا أصل المصالح المرسلة فيما سكت عنه الشارع ليكون رافدا لأحكامه، ولعل كثيرًا من القواعد المرورية تتوافق مع الأدلة والقواعد والضوابط الشرعية، إنما تحتاج إلى تأطير فقهي، وهناك قواعد يمكن توظيفها في ذلك كقاعدة رفع الحرج، وجلب المصلحة ودرء المفسدة، وتحقيق اليسر والسهولة، ونفي الضيق والشدة والعنت وغيرها.

ومن أهم المقاصد الشرعية التي يمكن الاعتماد عليها مقصد حفظ النفس والمال، وضرورة الالتزام بما دعت إليه المصلحة المرسلة من إقرار للقواعد والقوانين المعتمدة تحقيقًا للمصالح ودرءًا للمفاسد.

وهناك آيات قرآنية كثيرة نصت على ضرورة حفظ النفس وحمايتها من التلف والفساد، وقد ذكر بعض العلماء أن حفظ النفس يحصل بعدة معان، منها حفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود، من جهة المأكل والمشرب والملبس والمسكن، هذا مع الموقف الحازم للإسلام من آفة القتل وما يفضي إليه أو يتسبب فيه، ورفض الاعتداء على الخلق بأي شكل من الأشكال.

وأكد العلماء على اعتبار حفظ النفس والمال، فإن حفظ المال يكون بدفع العوارض التي قد تعرضه للتلف، وهكذا حفظ النفس. وعليه نستنبط حرمة المخالفات المرورية لثبوت خطرها على النفس والمال، وواجب تطبيق قواعد السلامة المرورية لثبوت حمايتها للنفس والمال وانعكاسها على رقي المجتمعات.

إذاً، فإن أي جهد هدفه حماية الأنفس والممتلكات وتنظيم حياة الناس ليكفل ذلك هو من صميم الشريعة الإسلامية، ويتوافق مع روحها وأوصافها، وهذا يمكّن من استيعاب الشريعة لكل جوانب الحياة البشرية بكل تقلباتها وتشعباتها.

إن الإرشاد والتعليم لضوابط الشريعة التي يؤكد عليها الإسلام للناشئة والناس ضرورة، خاصة إذا رُبط الأمر بالجانب الإيماني والجانب التعبدي، وهذا من شأنه التقليل من مخاطر الحوادث المرورية، والسبيل لتفعيل ذلك عبر التربية، بهدف تكوين وعي جماعي وسلوك مجتمعي ينطلق من قيم الإسلام التربوية السامية الشاملة، بلا اقتصار في معالجة مشاكل المرور على الجانب القانوني فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المصالح المرسلة: هو أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة وليس في الشرع ما ينفيه. ولا شك في أن تطبيق أحكام السلامة المرورية يجلب المنفعة ولا ينفيه الشرع، بل يحث عليه ويأمر به، ومن يطبق له أجر ومن يخالف عليه الوزر.

مبدأ سد الذرائع:

سد الذرائع أحد أصول الفقه الإسلامي عند الإمام مالك وأحمد بن حنبل. والذريعة عند علماء الأصول هي ما يُتوصل به إلى الشيء الممنوع المشتمل على مفسدة.

منع ارتكابه لفعل يؤدي إلى مفسدة أو ضرر:

لا شك أن مبدأ سد الذرائع من القواعد العلمية والأدوات المستخدمة لإصدار التشريعات والفتاوى، وهو أصل معتبر سواء لدى الفقهاء أو الأصوليين أو القانونيين.

إنّ أي مشكل لا يمكن معالجته إلا بمعالجة أسبابه، والإسلام عالج حوادث السير بمعالجة أسبابها، من مبدأ (سدّ الذرائع) ومن الأمثلة على سد الذرائع لعدم وقوع حوادث السير:

- عدم شرب الخمر فهو محرم على السائق وغير السائق، سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة].

- عدم السرعة الزائدة، قال رسول اللّه ﷺ للأشجِّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»(١).

- عدم التكلم بالهاتف أثناء القيادة، قَالَ تَعالَى فِي سورة الأحزاب: {وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤}.

- عدم قيادة السيارة أثناء النعاس، قَالَ سُبْحانَهُ فِي سورة البقرة: {وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥].

- ومن أسباب حوادث السير: فساد الطريق، وعدم صلاحيته للسير، من باب سد الذرائع علاج هذا السبب حين أُمرنا بإصلاح الطرق، وإزالة الأذى عنها، روى البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «الْإِيمان بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذى عَنْ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمان»(٢). هناك أمثلة كثيرة على مبدأ سد الذرائع في مجال السلامة المرورية.

إن مبدأ سد الذرائع تطبيقه ليس متروكًا لأُحادي الناس بل لا بد أن يصدر من مؤسسات قضائية وتشريعية بعد دراسات معمقة يشترك فيها أهل الاختصاص كافة.



---

(١) رواه مسلم (رقم١٧)، وأصل الحديث متفق عليه.

(٢) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٢٨٠٠)، حكم المحدث: صحيح.



الفصل الرابع

قواعد السلامة المرورية ومتطلباتها



من مبدأ الأخذ بالأسباب

قواعد السلامة المرورية ومتطلباتها

من مبدأ الأخذ بالأسباب أن المسلم مطالب بالأخذ بالأسباب المشروعة، وقد قال أهل العلم: الأخذ بالأسباب عبادة والاعتماد عليها شرك.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا} [النساء: ٧١].

وجب على كل مسلم الالتزام بمتطلبات السلامة لحفظ النفس والمال، ومن دواعي الالتزام بالسلامة معرفة وتطبيق متطلبات السلامة المرورية، وكل ما نذكره يندرج أيضا تحت عنوان الأخذ بالأسباب.

وهناك كتب كثيرة أُلفت وفصلت في مجال السلامة المرورية، ولكن نورد الموجز والمختصر منها للفائدة ولاستكمال البحث من كل جوانبه، ولأنها تندرج تحت مبدأ الأخذ بالأسباب:

ومتطلبات السلامة المرورية تشمل:

- المركبة (السيارة).
- السائق (قائد السيارة).
- الطريق (الشارع).

وسنبين متطلبات السلامة المرورية بشكل موجز لكل منها:

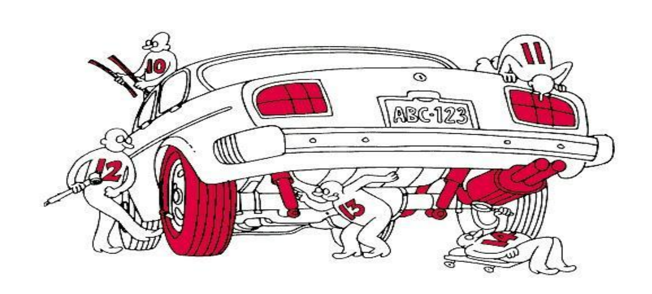
أولًا: متطلبات السلامة المرورية للمركبة (السيارة)

قبل قيادتك السيارة لا بد من التأكد من شروط المتانة والسلامة للمركبة، التي تبين أنها من اتخاذ الأسباب الواجبة شرعا، وتتمثل في نصائح الصيانة الأولية التي لا بد منها:



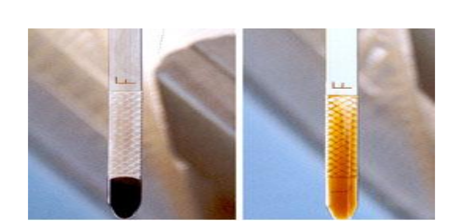
أشياء لا بد من تفقدها في السيارة باستمرار

ومن الأعمال التي يجب القيام بها قبل قيادة السيارة وبشكل دوري وخاصة قبل السفر:



١- قياس مستوى زيت المحرك:

يرفع مقياس الزيت من مكانه بالمحرك وينظف جيدا ثم يعاد ثانية، ويجب أن يكون مؤشر الزيت بين العلامتين الدنيا والعليا.





٢- ضغط هواء الإطارات: حسب تعليمات الصانع:

عند قياس ضغط هواء الإطارات يجب أن يكون الإطار باردا؛ لأن ارتفاع الحرارة في الإطار يعطي قراءة خاطئة لضغط الهواء.

٣- تفقد زيت الفرامل وهبوط مستواه دليل على عطل في الفرامل لابد من إصلاحه.



٤- تفقد كابلات البطارية:



٥- الانتباه بشكل دائم لمؤشر حرارة المحرك والتوقف فورا عند ارتفاع الحرارة أعلى من المسموح به.



٦- تفقد مياه الردياتير (مبرد الماء):



لا تفتح غطاء الردياتير (مبرد المياه) والمحرك ساخنًا حتى لا يندفع ضغط المياه إليك فيصيبك بحروق. ابق المحرك يعمل أثناء تزويد المياه داخل الردياتير.

٧- الانتباه إلى إضاءة لمبة البطارية بالتابلو (واجهة السيارة من الداخل).
وفحص السيارة فورا عند أقرب كهربائي لمعرفة العطل وتلافيه.

٨- الانتباه إلى لون عادم (المحرك) الغازات «الأكزوز».

هناك ثلاثة أنواع للون عادم المحرك.







- أبيض دليل وجود تسرب ماء للمحرك.
- رمادي ضرورة معايرة محرك السيارة.
- أسود دليل احتراق زيت المحرك.

في كل الحالات يجب صيانة المحرك في أقرب ورشة للصيانة.

٩- شم رائحة بنزين أثناء السير بالسيارة:

عند وجود شكوى متكررة من شم رائحة بنزين «نيئ» أثناء السير بالسيارة يجب التأكد مما يلي:

- عدم وجود تسريب للبنزين.
- الضبط الصحيح للمحرك وخاصة على السرعات العالية.
- عدم وجود تنفيس للعادم.
- الإحكام الجيد للشنطة الخلفية (الصندوق الخلفي) للسيارة لكي لا يتسرب غاز



العادم إلى داخلها وقد يكون هو السبب الرئيسي.

١٠- شم رائحة كريهة أثناء السير بالسيارة:

عادة يكون السبب التصاق كيس من البلاستك بـ«الشكمان»، أو وجود زيت عليه عند ارتفاع حرارته يحترق ولابد من تنظيفه.

١١- فحص البطارية وتوصيلاتها بشكل مستمر.

١٢- توصيل بطارية سيارتك ببطارية خارجية.

عند الضرورة قد تحتاج إلى شحن بطارية سيارتك من سيارة أخرى (اشتراك)، عندها تأكد من التوصيل الجيد للكابلات، القطب الموجب مع الموجب والقطب السالب مع السالب، حسب الترتيب في السيارتين.

١٣- تشغيل مساحات الزجاج:

لا تشغل مساحات الزجاج الأمامي بدون وجود ماء في خزان مياه المساحات لأنه يؤدي إلى خدوش للزجاج وعدم وضوح في الرؤية مستقبلا.

١٤- ارتفاع درجة حرارة المحرك:

عند ارتفاع درجة حرارة محرك السيارة أثناء قيادتك لها، اتخذ الجانب الأيمن وأوقف السيارة، ثم أوقف دوران المحرك على الفور، ولا تتسرع وتنزع غطاء الردياتير من مكانه حتى يبرد المحرك لكي لا تصاب بالأذى من ضغط المياه بسبب الغليان.

١٥- لا توقف سيارتك في الأماكن الخاطئة كي لا تتعرض لحادث أو تتسبب فيه.

١٦- لا تترك أضواء السيارة في وضع التشغيل أثناء التوقف مدة طويلة بدون داعٍ؛ لأن ذلك قد يفرغ شحن البطارية، وقد يؤدي إلى تلفها.

١٧- تأكد من الحالة الجيدة لإطار الاحتياط، وتأكد من وجود ضغط الهواء المناسب داخله، لكي يكون جاهزا للاستخدام عند الحاجة.

١٨- احذر من وضع زيت أو شحم على براغي (صواميل) العجلات، لأن ذلك يؤدي إلى شدها بصورة زائدة، ولا تربطها أيضا بقوة زائدة عن الحد المطلوب.

١٩- تأكد من وضع رافع السيارة في المكان الصحيح، ويفضل وضع الإطار الاحتياط تحت السيارة عندما تكون مرفوعة للأمان.

٢٠- ومن وسائل السلامة في المركبة: العجل الاحتياطي، أدوات الفك والتركيب، طفاية الحريق، حقيبة الإسعافات الأولية،..... مثلث عاكس.

ثانيا: متطلبات السلامة المرورية للسائق

الغالبية العظمى من الناس سيصبحون سائقين (قائدين للسيارة)، والسائق هو العنصر الأساسي في السلامة المرورية، ومهمة السائق وصوله للهدف المطلوب براحة وأمان وسلامة وفي زمن مناسب، أي القيادة بسلامة، وحتى نرقى إلى مستوى أفضل من السير في طرقاتنا بنظام ووعي مروري حضاري يجب علينا:

١- التثقيف والتوعية المرورية للناس وللسائقين، وهذا يحتاج إلى برامج مدروسة ومستمرة وتصل إلى جميع الناس دون استثناء.

٢- التوجيه اليومي المستمر للناس حول أماكن الازدحام وظروف الطقس اليومي ومن خلال الإذاعات والفضائيات والتي هي وسيلة الاتصال مع السائق، ويمكن تخصيص إذاعة مرورية أو فترة مرورية يومية في إحدى الإذاعات.

٣- تدريس التوعية المرورية في المدارس أو ضمن الدروس الأخرى وبشكل جدي لإنشاء جيل مثقف مروريًا مع ربط الموضع بالتعاليم الدينية من حيث الأمر والنهي والثواب والعقاب.

٤- المحافظة على أفضل مقومات اليقظة الذهنية والحواسية، وما تعنيه من اتخاذ أكثر القرارات ملاءمة وأسرعها تنفيذًا حسب المستجدات وربما يكون أهم قرار في حياتك أو ينهي حياتك.

٥- يدرج الخبراء في أبحاثهم عددًا من التدابير الأخرى الخاضعة لظروف الجسم وجاهزية السائق، حيث إنه اتضح من هذه الأبحاث أن أهم مقومات القيادة الآمنة والسليمة يقظة الذهن والحواس للتفاعل مع المستجدات في أقصر وقت وبأنسب الطرق،

كمثال (فمجرد التوقف في أسرع مهلة وراء سيارة توقفت فجأة، قد لا يكون أفضل رد فعل، إن كانت المهلة تسمح مثلًا بالكبح بقوة أقل لتفادي حادث مع السيارة اللاحقة في الوقت ذاته).

وخلصت الأبحاث إلى أن حالة السائق تأتي في صدارة مقوّمات السلامة أثناء القيادة، ومن وسائل المحافظة على سلامة السائق، وخصوصًا السائقين الذين يمضون وقتًا طويلًا وراء المقود الآتي:

- التمرين ساعة واحدة كل يومين أو ثلاثة أيام، سواء على دراجة هوائية أو المشي السريع أو السباحة.
- تمارين دورية بسيطة لعضلات العنق والكتفين والظهر حسب الوضع الصحي لكل شخص وحسب عمره خاصة أثناء القيادة الطويلة.
- تخطيط الرحلات التي تستغرق أكثر من ست ساعات، والتوقف عشر دقائق إلى ربع ساعة بعد قيادة كل ساعتين ثم الترجل مع تحريك عضلات الظهر والعنق، وكذلك التوقف لفترة أطول بعد قيادة ثلاث إلى أربع ساعات، فقد أثبتت الدراسات أن احتمالات وقوع الحادث تتضاعف بعد القيادة لمدة أربع ساعات دون انقطاع، وتتضاعف مهلة الاستجابة للطوارئ بعد القيادة لمدة خمس ساعات، ويصل ضعف الاستجابة للطوارئ إلى ثلاثة أضعاف عند القيادة لمدة ثماني ساعات، بينما تبقى سرعة الاستجابة بعد تسع ساعات من القيادة المتقطعة بعشر دقائق استراحة كل ساعة، مماثلة لسرعة الاستجابة في الساعة الأولى بعد الانطلاق.
- ينصح الخبراء بأن يسبق الرحلة الطويلة ليلة نوم جيدة، والانطلاق في الصباح الباكر إذا أمكن، إذ يبقى الصفاء الذهني في أقوى درجاته قبل الظهر، وخصوصًا بين السادسة والثامنة صباحًا مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: «اللهمَ باركْ لأمتي في

بكورِها»[١].

- في حين تهبط مستويات القوة الجسدية إلى أدنى مستوياتها للنهار بين الثانية والثالثة بعد الظهر.
- يستحسن أثناء الرحلات الطويلة تناول أطعمة غنية بالبروتينات والكربوهيدرات والفيتامينات والمعادن مثل الحبوب والخبز والرز والبطاطا والخضار والفاكهة، ولا ينصح بالأطعمة الدسمة والمدهنة التي يتطلب هضمها ساعتين إلى ثلاث ساعات، ويستحسن الاستعاضة عن أصابع الشوكولا والسكاكر الصناعية، بخيارات أفضل كالفاكهة المجففة أو الطازجة، والبسكويت من القمح الصافي والحبوب.

ويفضل قبل السفر أو خلاله تناول طعام مثل السمك والسلطة الخفيفة والبطاطا المسلوقة والأجبان الطازجة، والاستراحة بعد الطعام لمدة ساعة لهضم الطعام، فقد دلت التجارب أن القيادة فور الانتهاء من غداء دسم، تؤدي في العادة إلى سلوك غير منتظم وخطر على الذات وعلى الآخرين.

وتعتبر المياه المعدنية خير المشروبات في السفر، ويليها شراب الفاكهة ثم الشاي مع قليل من السكر، وقد تفيد القهوة للتنشيط مؤقتًا، لكن يبقى النوم لفترة قصيرة خير المنشطات قبل استئناف السفر من جديد.

- عدم سماع الراديو أو المسجل بصوت عالٍ أثناء القيادة؛ لعدم تشتيت الانتباه. وفتح النوافذ لتنفس هواء نقي يساعد على تنشيط الدورة الدموية وزيادة نشاط الجسم وكسر الخمول.
- تجنب السرعة الزائدة فهي القاسم المشترك لجميع أسباب الحوادث.
- احذر خطأ الغير وذلك بتهيئة مسافة كافية كمنطقة أمان حول السيارة للتحرك في

---

(١) الراوي: صخر بن وداعة الغامدي، المحدث: الترمذي، المصدر: سنن الترمذي، الجزء أو الصفحة: (١٢١٢)، حكم المحدث: حسن.

نطاقها، وإذا واجهت سائقًا طائشًا لسلامتك تنازل عن أفضليتك للمرور.

- لا تستعمل الفرامل بصورة مفاجئة للتقليل من سرعة المركبة أو لإيقافها، وتجنب استعمال الفرامل في الطرق الزلقة.
- التحكم في أعصابك أثناء القيادة يعتبر عاملًا أساسيًا لسلامتك.
- لا تستخدم الضوء العالي داخل المدن أو خارجها إلا للضرورة، وأيضًا يحذر استعمال المصابيح الكاشفة، حيث تتسبب في إبهار بقية مستخدمي الطريق، إلا في حالات الضباب والغبار مع استعمال (الضوء التحذيري).
- استخدم حزام الأمان بشكل دائم.

٦- انفجار إطار السيارة:



في حالة انفجار الإطار الأمامي يتم رفع القدم عن دواسة البنزين مع القبض على المقود بقوة بدون استخدام الفرامل لحظة الانفجار حتى لا يؤدى ذلك لانقلاب السيارة.

عند انفجار الإطار الخلفي للسيارة فإنها سوف تنحرف كذيل السمكة يمينا ويسارا، لذا يجب القبض على المقود بقوة إلى أن تهدئ السيارة من سرعتها، وقيادة السيارة خارج الطريق دون النظر إلى تلف الإطار المنفجر، مع مراعاة حركة السيارات القادمة من الخلف.

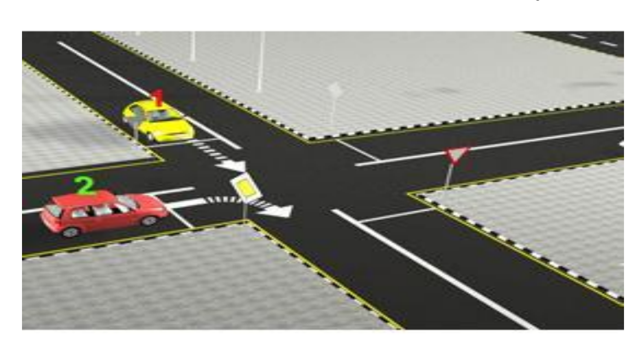
٧- مسافات الأمان بين السيارات:

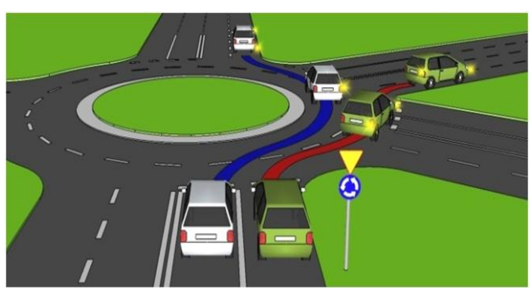


على السائق ترك مسافة أمان بين مركبته والمركبات التي أمامه تكون كافية لتمكنه من التوقف عندما تخفض المركبة التي أمامه سرعتها أو تتوقف فجأة، وعليه أن ينتبه لإشارات سائقها، وعلى سائق السيارة الأمامية ألا يستعمل الفرامل فجأة بغير موجب قوي.

على السيارة بطيئة السرعة وغيرها من السيارات التي يجاوز طولها سبعة أمتار أن تترك بينها وبين السيارة السابقة لها بعدًا كافيًا يمكِّن السيارات من تجاوزها والدخول في تلك المسافة، ولا يسرى ذلك إذا كان اتجاه المرور مقسمًا إلى أكثر من مسار، وكذلك في الأجزاء الممنوع فيها التجاوز.

٨- التقاطعات وأولويات المرور:

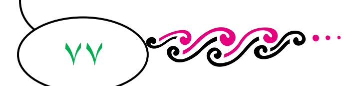




على قائد المركبة القادم من طريق فرعي ويتأهب للدخول في طريق رئيسي، أو من طريق غير مرصوف للدخول في طريق معبد أن يقف حتى يسمح أولًا بمرور المركبات القادمة على هذا الطريق، ولا يبدأ في الدخول إلا بعد تأكده من عدم تعريض المرور فيه للخطر.

تكون أولوية المرور في تقاطعات الطرق، حيث يكون المرور غير منظم، بواسطة رجل المرور أو بواسطة إشارات أو علامات المرور على الوجه الآتي:

- للمركبات التي دخلت فعلًا في التقاطع.
- للمركبات القادمة من طريق رئيسي يتقاطع بطريق فرعي.
- للمركبات القادمة من اليمين أيًا كان نوعها بالنسبة لأي مركبة أخرى، وذلك عند تقاطع طرق متساوية.
- المركبات المسيرة على الخطوط الحديدية لها أولوية بالنسبة لغيرها من أنواع المركبات.



• من يلتزم بمراعاة أولوية غيره في المرور عليه أن يبطئ سرعته بما يفيد استعداده للتوقف عند اللزوم، ولا يجوز له استمرار السير إلا إذا أمكنه ذلك، وبعد التيقن من الرؤية والتأكد من أنه لن يعرض صاحب أولوية المرور للخطر أو يعرقله بصورة جوهرية.

• عند توقف المرور أو تباطُئه بما يهدد بارتباكه يجب على قائد المركبة، رغم أولوية مركبته في المرور، أو إذا كانت الإشارة الضوئية خضراء، أو وجود أي إشارات أو علامة تسمح له بالمرور، عدم دخول التقاطع إذا كان عند الوصول إليه سوف يتوقف فيه على كل من له طبقًا لقواعد المرور حق استمرار السير أو أولوية أن يتنازل عنها إذا اقتضت ذلك حالة المرور.

٩- التجاوز للسيارات:





يؤثر البطء في حركة المرور والازدحام المروري وتعثر تدفقه في الحالة النفسية والصحية لقائدي المركبات، فالبطء في السير من شأنه أن يؤثر على أعصاب السائق واندفاعه نحو التجاوز، وخاصة من جهة اليمين، وتشير إحصائيات المرور إلى أن نسبة من الحوادث المرورية تقع بسبب التجاوز الخاطئ.

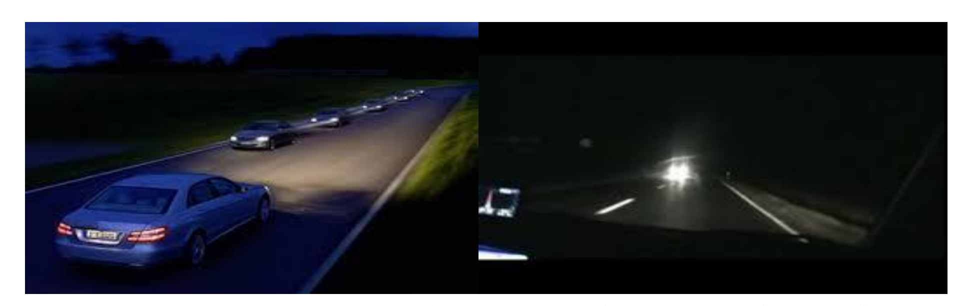
فهناك قواعد وأنظمة تستوجب من قائد السيارة الالتزام بها أثناء التجاوز وهي:

- التجاوز من جهة اليسار دائمًا.
- أثناء التجاوز يجب التأكد من عدم وجود مركبة قادمة من الاتجاه المعاكس، وأن الطريق خال من العوائق.
- التأكد من أن وضعية الطريق تسمح بالتجاوز.
- التأكد من خلال المرايا بأن المركبات التي تسير خلفك لم تشرع في التجاوز.
- التأكد من سرعة المركبة المراد تجاوزها.
- أعلنْ عن التجاوز باستخدام الإشارة ، وانتقل من مسار إلى آخر بحذر، وتجنب الانتقال المفاجئ.
- عُد إلى اليمين بعد التجاوز تدريجيًا، والزمْ الجانب الأيمن من الطريق.

١٠ - نصائح للقيادة ليلًا:

بالإضافة إلى تراجع القوة البصرية والرؤية الواضحة أثناء الظلامِ غالبا ما نشعر بالإرهاق والتعب والجهد، الأمر الذي يمكن أن يسبب الكثير من المخاطر على الطريق،

وللحفاظ على سلامتك وسلامة الآخرين فنحن ننصحك باتباع التالي: أثناء القيادة ليلا:



⋆ تأكد من أن الإضاءة الأمامية تعمل، وأن النوافذ كلها نظيفة وخاصة الزجاج الأمامي، حتى تزيد من الرؤية الواضحة.

⋆ قم بتشغيل الإضاءة الأمامية بعد الغروب مباشرة، وتأكد من أنها آمنة وتعمل بشكل جيد. ولا تؤذي السائقين الآخرين.

⋆ قد السيارة ببطء واسمح بوجود مسافة أمان كافية بينك وبين السيارات الأخرى.

⋆ إذا اقتربت سيارة أخرى منك وإضاءتها عالية، ركز على الجانب الأيمن من الطريق فهذا سيساعدك على الابتعاد عن وهج الإضاءة المباشرة

⋆ تجنب التعب. إذا شعرت بأنك متعب، خذ قسطًا من الراحة أو تناول كوبًا من القهوة أو أي مشروب منبه.

⋆ تجنب التدخين لأنه يزيد من الشعور بالراحة والاسترخاء.

⋆ إذا شعرت بأنك في خطر سواء من التعب أو النعاس، توقف قليلًا وخذ قسطًا من الراحة أو الاسترخاء لبعض الوقت.

إضافة إلى ما سبق فإن السائق الجيد يَجِبُ أنْ يتمتع بالميزّات التالية:

- حواس صحية جيدة.
- العلم بلوائح وتعليماتِ المرورِ.
- تركيز عال أثناء القيادة.





- معرفة بسيطة بميكانيكية وصيانةِ المركبةِ

١٣ - التأكد من سلامة محرك السيارة:

وذلك بشكل دوري، وفي حال ظهور ما يلي يجب مراجعة ورش الإصلاح:

- أصوات في المحرك:
  - صوت الصمام ورافع الصمام.
  - أصوات طرق الشرارة.
  - أصوات ذراع التوصيل.
  - أصوات محور المكبس.
  - أصوات حلقة المكبس.
  - أصوات خبط المكبس.
  - أصوات طرق عمود المرفق.
  - أصوات أخرى مختلفة.
- استهلاك زائد للزيت أو الوقود.
- انخفاض ضغط المحرك.
- خروج دخان كثيف وأسود من العادم.
- حرارة في المحرك.
- دوران المحرك بخشونة دون تحميل.
- ضعف قدرة المحرك.

١١ - صلاحية الإطارات:

الإطارات البالية أو التالفة تتسبب في ارتفاع خطر الحوادث بدرجة كبيرة؛ بسبب عدم التصاقها بالطريق في حالة هطول الأمطار أو الرطوبة، وكذلك طول مسافة الكبح أو الفقدان المفاجئ لضغط هواء الإطارات. إلى بعض الحالات والمواقف التي يلزم فيها تغيير إطارات السيارة:

مداس الإطار: ينبغي ألا يقل عمق المداس بسطح سير الإطارات بالكامل عن ١.٦

ملم، سطح السير هو عبارة عن النطاق الذي يتلامس مع الطريق عند السير في اتجاه مستقيم، ولا يجوز أبدًا السير بالإطارات حتى تصل إلى الحد الأدنى لعمق المداس؛ لأنه في هذه الحالة لن تكون هناك اعتمادية أو موثوقية للإطارات، وخاصة عند السير على الطرق الزلقة وعند هطول الأمطار.

بالنسبة للإطارات الصيفية ضرورة أن يكون عمق المداس ٣ ملم على الأقل، ومن الأفضل أن يكون ٤ ملم. ويمكن لقائد السيارة التحقق من مدى تآكل مداس الإطارات عن طريق استعمال عملة معدنية شكل (١). فإذا اختفت العملة المعدنية بمقدار ٣ ملم في المداس، فهذا يعني أنه لم يتم الوصول إلى مؤشر التآكل الموصى به.

الأضرار: ينبغي على قائد السيارة عدم تجاهل الأضرار التي تحدث بالإطارات مثل الشقوق والانبعاجات والتلفيات بمداس الإطارات. ويؤكد الخبراء أنه يجب في مثل هذه الحالات التوجه إلى مركز فني متخصص. أما الشقوق الأكبر أو مواضع الانبعاجات، التي ينتفخ فيها المطاط إلى الخارج، فإنها تعتبر عيوبًا متعلقة بسلامة وأمان القيادة، وعندئذ يجب استبدال مثل هذه الإطارات على الفور.

يمكن أن تتعرض الجدران الجانبية للإطارات للضرر بسبب الاصطدام بأحجار الرصيف، حيث قد يتمزق النسيج في الإطارات. وعندئذ قد تتكون فقاعات في أسوأ الحالات، والتي يمكن أن تؤدي بدورها إلى انفجار الإطارات. وتشير التموجات على سطح الإطارات إلى وجود عيوب في ممتص الصدمات، حيث دائمًا ما يرتفع الإطار عن سطح الطريق وتتباطأ سرعته، ثم يستقر على سطح الطريق مرة أخرى، وهو ما يؤدي مع مرور الوقت إلى ظهور تآكل شديد في مواضع انتقائية بشكل غير متساوٍ.

عمر الإطارات يبدأ من تاريخ إنتاجه وليس من تاريخ تركيبه.

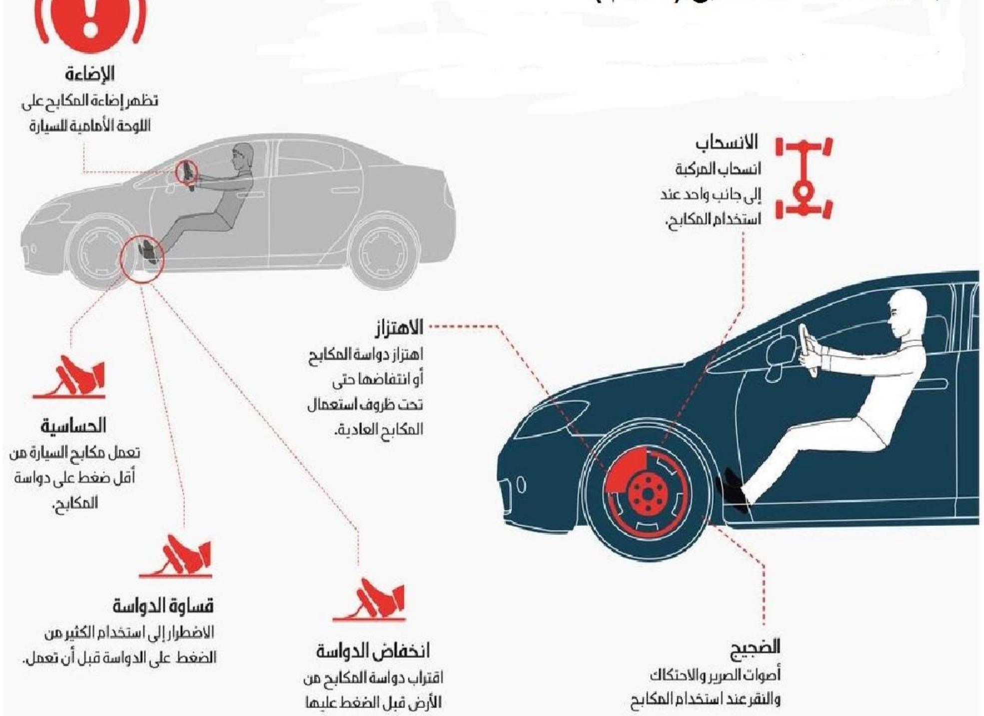
قد يأتي عام على الإطارات تضعف فيه وتصبح هشة في نهاية المطاف. إن ظهور بعض الشقوق الدقيقة التي تدل على تقادم الإطارات ليس بالمشكلة الكبيرة، لكن لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يزيد عمق هذه الشقوق على واحد ملليمتر. وفي حالة الإطارات

القديمة للغاية قد ينحل سطح السير مثلًا أثناء قيادة السيارة. علاوة على أنه قد يحدث انفجار بالإطارات إذا كانت الخامة متآكلة ومتحللة للغاية.

كما يجب إجراء عملية استبدال بين الإطارات المركبة فيما بينها على السيارة حسب الشكل (٣):



(٣) (٢) (١)



١٤ - التأكد أيضًا من:

- صلاحية طفاية الحريق، وأن تكون مثبتة في موقع قريب منك.
- إغلاق غطاء الماكينة «ألبانة».
- وجود مفتاح احتياطي تحسبًا لضياع المفتاح الأصلي أو نسيانه داخل السيارة.
- لا تستخدم الهاتف المحمول (الجوال) أثناء القيادة، وحين الحاجة لذلك توقف على جانب الطريق.

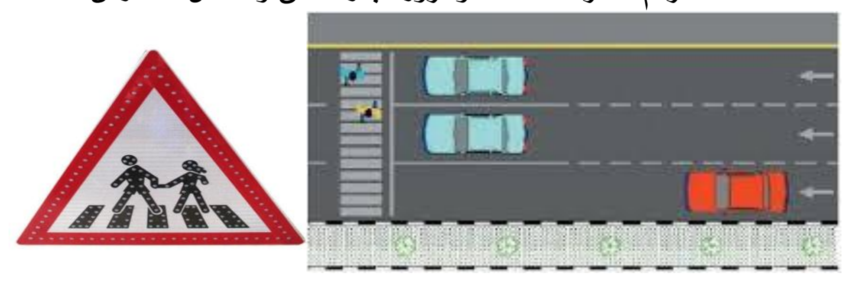
١٥- الأولوية دومًا لسيارات الإسعاف والدفاع المدني:

الأولوية لسيارات الإسعاف والشرطة والدفاع المدني، فأنت بهذا قد تسهم في إنقاذ حياة إنسان.





١٦- احترام ممرات المشاة ومرور كبار السن وأطفال المدارس:



- سلامة الإشارات الجانبية والأنوار ومساحات الزجاج.
- استخدم إشارات تغيير المسار عندما تريد تغيير مسارك، واحرص على متابعة المرايا الجانبية والداخلية أثناء القيادة بانتظام.

١٧- إلمام السائق بقواعد القيادة الآمنة: (قبل القيادة وأثناءها وعند التوقف):

يجب على السائق الإلمام بإجراءات وقواعد القيادة الآمنة للمركبة قبل وأثناء القيادة وعند التوقف:

- العمليات التحضيرية الواجب عملها قبل قيادة المركبة من قبل السائق:
  - إلقاء نظرة عامة حول المركبة ، إطاراتها ، ومراقبة حالة الطريق.
  - التأكد من متانة وسلامة الأبواب.
  - تنظيم المقعد ودولاب القيادة بشكل يناسبكَ.
  - ربطُ حزام المقعد، وكذلك المسافرون أيضًا يَجِبُ أَنْ يَرْبطوا أحزمةَ مقاعدهم.
  - ضبط المرآة العاكسة.
  - التأكد من مؤشرات لوحة العدادات من حيث درجة الحرارة والوقود.
- أثناء القيادة للسيارة:

الإنجاز السليم والآمن لقيادة السيارة يتم تحقيقه بشروط فنية وإدارية وصحية وبيئية، ويعتبر السائق في مكان عمل أثناء قيادته السيارة. لذلك يجب تكييف ظروف العمل داخل السيارة والبيئة المحيطة بها؛ ليلائم جسم السائق بشكل صحي وسليم، وحتى يستطيع إنجاز عمله بسلامة ودون ضرر على جسمه.

إن الإنجاز السليم لقيادة السيارة عبارة عن:

- قدرة الإنجاز الفيزيائي للسائق.
- قدرة الإنجاز الاحتياطي للسائق.
- فأما قدرة الإنجاز الفيزيائي والفسيولوجي (الجسدي) للسائق فيحكمها كل من المخ والجهاز العصبي المركزي وأعضاء الحواس الخمسة، كالعين والأذن والأنف والعضلات والجهاز الدوري، التي تتأثر بدورها بكل من خبرة السائق، وتركيزه على القيادة، ونمط المسار البيولوجي اليومي للجسم، والحالة الصحية لجسمه، وسلوكه في قيادة السيارة، والمزاج والرغبة، وحالته التغذوية والطعام الذي يتناوله، والنشاط البدني والاهتمام والرغبة في تفادي الحوادث، وظروف البيئة المحيطة كالطرق والجو والإضاءة والسيارات الأخرى وسلوك الآخرين.
- بينما تشمل قدرة الإنجاز الاحتياطي للسائق حالة الجسم الصحية والتغذوية فيما إذا كان لديه مرض وكفاية النوم والراحة الجسدية ونمط عادة العمل اليومية عنده. كأن تكون قيادة السيارة بجانب الوظيفة أو كوظيفة رئيسية مثل عمل سائقي الحافلات والشاحنات وخدمات النقل الجماعي وغيرها.

وتكمن قدرات السائق في استخدام الإنجاز الفيزيائي للجهاز العضلي والدورة الدموية والحواس والدماغ والأعصاب، بينما لا يستغل السائق عادة الحد الأقصى من جاهزيته الاحتياطية للقيادة، فقد يستخدم جزءاً منها ضمن الروتين اليومي، والجزء الآخر ضمن هامش للمحادثة والانشغال داخل أو خارج السيارة، وهنا تكمن الخطورة في نسبة استخدام السائق لهذه القدرات. وجاهزية السائق لإنجاز هذه القدرات سميت (جاهزية الإنجاز) عند قيادة السيارة، وصنفت بأنها عبارة عن القدرة القصوى للإنجاز الجسمي والعقلي في قيادة السيارة بشكل سليم دون التعرض لمخاطر حوادث المرور، وهي تشمل:

- قدرة الإنجاز الجاهزة المستخدمة بشكل عادي (الفيزيائي).
- قدرة الإنجاز الاحتياطي.



- هامش بسيط للقيام بأشياء جانبية يقوم بها أثناء القيادة كالمحادثة مع شخص أو الانشغال بالإذاعة أو الهاتف أو تناول شيء من الطعام أو الشراب أو التدخين. ويجب أن يبقى هذا الهامش محدودا وضمن المعقول.

- الإنجاز المتعلق بالمزاج أو الطبع للسائق.

- كفاءة السائق المستندة إلى الخبرة والمعرفة.

الخلاصة: يجب أن تتوافر كافة الشروط المحيطة مثل الطرق، الطقس، الإنارة، اللوحات الإرشادية، وكذلك أن يكون السائق متقد الحواس في حالة صحية وتغذية جيدة وجاهز لأي طارئ، ولا ينشغل بأي إجراءات ثانوية أثناء القيادة؛ حتى تكون قيادته السيارة ضمن الإنجاز السليم والآمن.

- عند الوقوف:

- النّظر إلى المرآة العاكسة لرؤية حالة حركة المرور.
- التأكد من سلامة أنوار الموقف.
- قم بضغط دواسة البنزين بشكل تدريجي.
- قم بضغط دواسة المكابح بشكل تدريجي.
- بعد التوقّفِ الكاملِ، اضغط على الكابح ثم أطفا المركبة.

- يجب أن تجرى عملية توقف السيارة بصورة تدريجية لكيلا ينتج عنها أي مضايقة لحركة المرور بعد إعطاء الإشارة اللازمة على ذلك سواء كانت ضوئية أو يدوية.

- كما يجب أن يكون التوقف أو انتظار السيارة في خارج المدن وفي المناطق غير المأهولة في أقصى يمين الطريق في اتجاه حركة المرور.

لا يجوز توقف السيارة في الأماكن التالية:

- في غير أماكن الانتظار.

- على بعد يقل عن خمسة أمتار من مفارق الطرق ومداخل الميادين وأماكن عبور المشاة ومحطات مركبات النقل العام للركاب.

- عند أماكن عبور المشاة وعند الجسور (الكباري) والأنفاق.



- بجوار اللوحات الإرشادية وحجب الرؤية عن مستخدمي الطريق.
- على الطريق في المرتفعات أو المنحدرات أو المنعطفات أو المنحنيات، وكذلك بالقرب منها عندما تكون الرؤية غير كافية، لضمان تخطي المركبة بأمان تام، مع مراعاة سرعة المركبات على هذا الجزء من الطريق.
- على السكك الحديدية أو بجوارها إذا كان ذلك يعوق سيرها.
- أمام مداخل أو مخارج مواقف المركبات أو محطات البنزين أو المستشفيات أو مراكز الإسعاف أو الإطفاء أو الشرطة أو المناطق العسكرية أو مداخل أو مخارج الحدائق العامة أو أماكن العبادة أو المدارس.
- في الأماكن التي يعوق الوقوف فيها تحرك مركبة أخرى متوقفة.



يكون انتظار المركبات في الأماكن المخصصة لذلك ضمن صف منتظم وفي اتجاه حركة المرور، وعدم الوقوف في الموقف المخصصة لغيرنا، وكما أن لقيادة السيارة آدابًا فإن لوقوفها آدابًا أيضًا يجب الالتزام بها.









ثالثا: متطلبات السلامة المرورية للطريق



الطريق هو أحد العناصر الثلاثة الرئيسية في معادلة وقوع الحادث المروري، وإذا ما توافرت في الطريق مواصفات السلامة، فإنه يلعب دورًا رئيسًا في التقليل من وقوع الحادث أو على الأقل تخفيف حدة خطورته، لهذا يجب على المسؤولين عن الطرق إضافة معايير السلامة في كافة العناصر الهندسية للطريق، ومراعاة شروط السلامة التي تكفل الأمان لمستخدميه من الجانب التصميمي ودون معزل عن متطلبات السلامة المرورية. وتتمثل وسائل السلامة في الطريق في التصميم والتخطيط الهندسي، والإضاءة، والصلاحية، وإزالة العوائق، وتوافر أدوات تنظيم المرور.

وتحسين الأداء المروري من خلال رفع مستوى درجات السلامة المرورية والأمان والراحة لمستخدمي الطرق ويتمثل في:

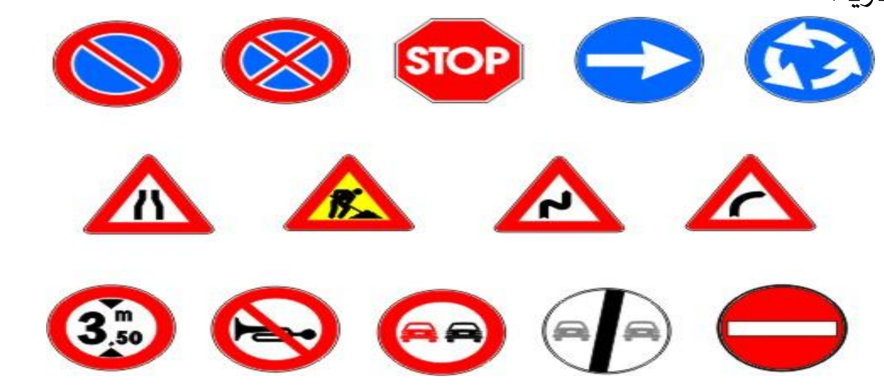
- تخطيط وهندسة الطرق بشكل يؤدي إلى تسهيل حركة المرور، وكمثال على ذلك، هناك ساحات- وعلى مدى عقود- لم يتم حل مشكلة الازدحام فيها بسبب خطأ في تصميم هذه الساحات.
- تحسين الطرق بشكل دوري من ناحية التصميم والخدمة من سفلتة ونحوها.
- الإنارة (الإضاءة) الجيدة للطرق.
- إنشاء معابر خاصة للمشاة.، و توافر مواقف للسيارات على جوانب الطرق.

- توسيع الطرق لاستيعاب السيارات المستخدمة.
- توفير عدد كاف من اللوحات والإرشادات التحذيرية والمرورية على الشوارع والطرقات التي تؤدي إلى استشراف الطريق وعدم تردد السائق في الاتجاهات.
- تحديد السرعات بشكل يتناسب مع الطريق.
- مراقبة السيارات بالكاميرات وإشعار السائقين بذلك، لأن السائق إذا علم بوجود كاميرات سيخفف سرعته للحد المطلوب، وتكون قد استخدمت الكاميرا لما وضعت له (تخفيف السرعة لتفادي وقوع الحوادث)، وألا يكون الهدف المخالفة فقط ، في حين أن السائق إذا تفاجأ بالكاميرا سيقف أو سيخفف سرعته بشكل مفاجئ، وقد يؤدي ذلك إلى وقوع حادث سير وتكون الكاميرا بذلك قد أعطت مفعولا عكس ما وضعت لأجله.
- تركيب إشارات مرور في التقاطعات وعند معابر المشاة وصيانتها بشكل مستمر.
- الجانب الإعلامي هام جدا في توعية السائقين وخاصة الشباب، كمثال: إعلام المواطنين بأعداد الوفيات والإعاقات بأنواعها من الحوادث والخسائر في الأرواح والممتلكات بنشر الصور والنشرات في المدارس والإدارات الحكومية، وكذلك في الشوارع في لوحات الدعاية وعند الإشارات توضع صور لحوادث مؤثرة.
- ومن الوسائل التي ترفع مستوى السلامة في الطريق ما يلي:
- إنشاء وتشييد شبكات طرق عالية المستوى والجودة في شتى أطراف البلاد.
- التصميم والتخطيط الهندسي للطريق بشكل مدروس وسلس.
- إضاءة الطريق.
- صلاحية الطريق ومدى السلامة المرورية عليه كإزالة العوائق الطبيعية كالأتربة والرمال المتحركة.
- أدوات تنظيم المرور، كالإشارات الضوئية على الطريق واللوحات الإرشادية والتحذيرية والإعلامية والمدلّالات الأرضية.
- وسعياً للحفاظ على الطرق خارج المدن وداخلها يجب إقامة محطات وزن حمولة الشاحنات بين المدن والمحافظات.

ولسلامة المشاة في الطريق:

- المشي على الأرصفة.
- عبور الطريق من الأماكن المخصصة لذلك والتوقف عند إشارة المشاة الحمراء.
- السائق يحتاجُ لرُؤيتك لتَفاديك فراقب الطريق واعبره بحذر.
- ارتدِ ملابس واضحة الألوان أو ملابس عاكسة إذا كنت تعمل في الطريق ليلًا.
- احمل مصباحًا كاشفًا عندما تمشي أو تعمل في الظلام.
- لا تتْرك الأطفال يَلْعبون في الطريق أو يَعْبرون الشارعَ وحدهم.

إن قلة الوعي المروري أو افتقاده لدى كثير من الناس يؤدي إلى سوء استخدام الطريق، فترى الناس يعبرون الشوارع من أي مكان يريدونه، ولا يقدرون المخاطر بشكل دقيق. إن الوعي المروري جزء من وعي الناس لكثير من متطلبات الحياة المعاصرة الحضارية.



أخي المسلم سواء كنت راكبًا أم ماشيًا أم تقود سيارتك، اعلم أن عليك واجبات لا بد من الحفاظ عليها والالتزام بها؛ لسلامة نفسك أولًا وسلامة الآخرين، ولكي تندرج تحت قوله تعالى (وعباد الرحمن).



الفصل الخامس

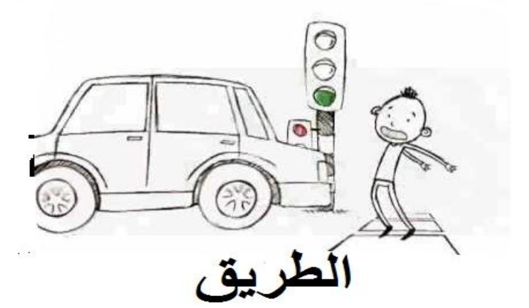
متطلبات السلامة المرورية من المنظور الشرعي



مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ

(سورة الأنعام ٣٨)







متطلبات السلامة المرورية من المنظور الشرعي

المركبة - السائق - الطريق

نظرة الإسلام لمتطلبات السلامة المرورية تنبثق من إدراك الإنسان غاية خلقه وهو عبادة الله، واستحضار هذه العبادة في كل سلوكياته وأفعاله، وهذا ترجمة حقيقية لقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات]، وهذه العبادة تتحقق في عدة أمور مجتمعة من قيم إيمانية تؤثر في ضبط سلوك الإنسان وطريقة سيره في الطريق، وفيما يلي النظرة الشرعية لعناصر ومتطلبات السلامة المرورية:

أولًا: المركبة من المنظور الشرعي

نعم الله على عباده لا تُعد ولا تُحصى، ومن نعمه أن سخر لهم من الوسائل ما يحملهم من بلد إلى بلد، وما يحمل لهم أثقالهم، فسخر لهم أولًا الخيل والبغال والحمير والإبل وما شابهها، كما قال تعالى: {وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾} [النحل].

وفي قوله تعالى {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (وكما تبين لنا سابقا) تنبيه على ما خلقه الله وسخره ويسره من وسائل النقل البرية والبحرية والجوية مما لم يكن معلومًا للناس عند نزول الوحي، وقد يستجد في المستقبل ما لا نعلمه اليوم ولا يخطر لنا على بال. وقد يكون في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أنه سمعه يقول: «سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال ينزلون على

أبواب المساجد...» الحديث[١]، أي مراكبهم التي يقفون بها جوار المساجد تشبه مراكب وثيرة لينة وطيئة. أقول قد يكون في هذا الحديث الشريف إشارة إلى السيارات التي لم تعرف إلا في هذه الأزمنة الأخيرة.

هذه الوسائل من نعم اللّه علينا، فقد أراحت الأبدان، وحملت الأثقال، واختصرت الأزمان، وقاربت البلدان، وصار فيها للناس جمال وزينة ومتعة. والنعم تحتاج إلى شكر، ومن شُكر اللّه عليها استعمالها في غير معصية اللّه، واستعمالها على وجه ينفع ولا يضر.

إن عدم مراعاة الأنظمة التي وضعت لسلامة السيارات وقائديها وراكبيها خلّف من المصائب والكوارث ما لا يعلمه إلا اللّه، فكم من أرواح زُهقت، وأجساد شُلّت، وأسر فقدت أبناءها وفلذات أكبادها، وكم من أسر فقدت عائلها ووالدها، وكم من أسر فَنِيَت في لحظة فلم يبق منها أحد.

نجد أن معظمها من الاستعمال الخاطئ للمركبة، وعدم اتخاذ الأسباب في تفقد المركبة قبل قيادتها والسفر بها، ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف].

كما يجب أن تكون السيارة سليمة خارجيًا من العيوب ونظيفة وذات مظهر حسن ومقبول، يقول عليه الصلاة والسلام: «إنَّكم قادمونَ على إخوانِكُم، فأصلِحوا رحالَكُم، وأصلِحوا لباسَكُم، حتَّى تَكونوا كأنَّكم شامةٌ في النَّاسِ، فإنَّ اللَّهَ لا يحبُّ الفُحشَ، ولا التَّفحُّشَ»[٢].

---

(١) الراوي: عبداللّه بن عمر، المحدث: المنذري، المصدر: الترغيب والترهيب، الجزء أو الصفحة: (١٣٥/٣)، حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]، الراوي: عبداللّه بن عمرو، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الجزء أو الصفحة: (٢٦٨٣)، حكم المحدث: إسناده حسن.

(٢) الراوي: بشر التغلبي، المحدث: ابن مفلح، المصدر: الآداب الشرعية، الجزء أو الصفحة: =



ثانيا: السائق من المنظور الشرعي

السائقَ هو العاملُ الأكثر فاعليةُ في عمليةِ السلامة المرورية وتجنب الحوادث، وأنظمة ووسائل الحماية والأخذ بالأسباب تفقد أهميتها أمام عدم جاهزية السائق.

قسم الفقهاء الناس في استخدام السيارات (قائد المركبة، السائق) إلى ثلاثة أقسام:

أولًا- من يجيد قيادة السيارة، ويعرف واجباتها، ويفهم أنظمة السير.

فهذا يجوز له قيادة السيارة، لأنه أهل لذلك.

ثانيًا- من لا يجيد قيادة السيارة، ولا يعرف أنظمة السير.

فهذا مفرط لا يجوز له قيادة السيارة، لئلا يهلك نفسه ويضر غيره.

ثالثًا- من يجيد القيادة، ويعرف أنظمة السير، ولكنه لا يطبقها، ويعمد إلى مخالفتها.

فهذا جانٍ على نفسه وعلى غيره فيما خالف فيه.

السائق إذاً، هو جوهرة السلامة المرورية، من يسيء في القيادة ويسمي نفسه مسلما فعليه وزران:

- وزر إيذاء الناس وإضرارهم (لا ضرر ولا ضرار).
- ووزر إعطاء فكرة خاطئة عن أخلاق المسلم، ويكون بهذا قد نفر الآخرين من الإسلام.

يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥﴾ [الممتحنة].

= (٥٢٢/٣)، حكم المحدث: إسناده حسن.



وقوله تعالى:

{وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ} [البقرة: ١٩١]، ومن يسئ قيادة السيارة من المسلمين فقد يتسبب بالفتنة فيفتن الكافرين ويشوه صورة المسلم وقد يتسبب في حادث سير يؤدي إلى قتل نفس فبذلك يتسبب في الفتنة والقتل معًا.

وما جاء عن قتادة أنه قال: «يقول: لا تظهرهم علينا فيُفتنوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقٍّ هم عليه»(١).

وهذا حاصل اليوم في كثير من الأمور، وخاصة في مجال تطبيق نظام المرور والسلامة المرورية، حيث إننا غفلنا عن تطبيقه وتجاهلنا أخلاقنا الإسلامية، وكثرت مخالفاتنا المرورية، وفسدت طرقاتنا مروريًا، وهم قد التزموا القوانين المرورية فلم يخالفوا أنظمة المرور وصلحت طرقاتهم المرورية فظنوا أنهم على حق ونحن على باطل فأصبحنا فتنة لهم بذلك، وهذا معنى من معاني هذه الآية الكريمة: {رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥} [الممتحنة].

أخي المسلم حتى تتلافى الوقوع في الحوادث وفي الوزر واكتساب الإثم، يجب عليك التحلي والالتزام بالأخلاق الحميدة وشكر نعم الله عليك بالحفاظ عليها واستخدامها في طاعته ولما خصصت له دون ضرر أو إضرار.

الأخلاق رمز الشّعوب وعنوان الحضارات الراقية، حثّت عليها كثير من النصوص الشرعية، وكانت أساس المعاملة بين النّاس.

المسلم وهو في الطريق (ماشيًا، راكبًا، سائقًا) عليه أن يتصف بصفات حميدة وأخلاق فاضلة؛ حتى يبارك الله له في نعمته ويرضى عنه، ويكسب محبة واحترام

---

(١) تفسير الطبري، (٢٣/ ٣٢٠)، وصحح إسناده في التفسير الصحيح (٤/٤٧٣).

الآخرين، ومن ثم صلاح الفرد والمجتمع ككل، لأن هدفه إرضاء الله تعالى، والطمع في دخول جناته بالعمل الصالح المصحوب بالنية الخالصة لله.

ومما ينبغي على المسلم عند قيادة السيارة فعله والتحلي به حتى يندرج تحت قوله تعالى: {فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾} [يوسف]، ويحقق مبتغاه في الوصول إلى هدفه، عدة خصال وإرشادات شرعية لحفظ النفس والمال أهمها:

١- النية والاحتساب عند قيادة السيارة:

حتى يكون العمل خالصًا لله ومأجورًا عليه وتحتسب به عند الله، لا بد من البدء بالنية الطيبة الخالصة لله، وأن تكون شرطًا له، أي أن تنطلق النية قبل أو مع البدء بالعمل أو أثناءه، والنية محلها القلب.

وقوله ﷺ «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّةِ»، - وفي روايةٍ: «بالنِّيَّاتِ» - وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى...»[1].

وعن الْقَاسِمِ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ أجر لِمَنْ لاَ حِسْبَةَ لَهُ»[2].

يوميًا تخرج من بيتك بحكم العادة (سواء بنية واحتساب أو بدون ذلك) وتركب سيارتك وتنطلق إلى عملك، أو تسعى على عيالك أو تذهب إلى مكان ترفه به عن نفسك وعيالك دون معصية أو إلى صلة رحم أو إلى عيادة مريض أو حينما تعود مساءً متعبًا

---

(١) الراوي: عمر بن الخطاب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (١٠)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) هذا الحديث قد حسنه الشيخ الألباني في [صحيح الجامع: (٧١٦٤) وقال عنه: هذا إسناد مرسل حسن، السلسلة الصحيحة: (٥٣٨/٥) وله شاهد من حديث أبي ذر مرفوعا: " لا أجر إلا عن حسبة ولا عمل إلا بنية.

منهكًا أو أي عمل آخر ضمن حدود الشرع.

هذه العادات تصبح عبادات تؤجر عليها شريطة النية والاحتساب لله تعالى، فاستحضار النية واحتساب الأجر أمران ضروريان لكل مسلم، فلا تحرم نفسك الأجر بنية صادقة واحتساب العمل، مهما صغر هذا العمل فاحتسب به الأجر عند الله ولو مرة في عمرك تنويها لآخر العمر، كما في نية صوم رمضان، من قال نية واحدة عن الشهر كله كفته.

«دينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ اللهِ، ودينارٌ أنفقتَهُ في رقَبَةٍ، ودينارٌ تصدقْتَ بِهِ على مسكينٍ، ودينارٌ أنفقتَهُ على أهلِكَ، أعظمها أجرًا الذي أنفقْتَهُ على أهلِكَ»(١).

من أوليات العمل أن تسعى على رزق أسرتك فأنت في عبادة:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ، أَنَّ رَجُلا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إنْ كان خرجَ يَسعَى على ولَدِهِ صغارًا فهوَ في سبيلِ اللهِ، وإنْ كان خرجَ يَسعَى على أبوَيْنِ شيْخيْنِ كبيريْنِ، فهوَ في سبيلِ اللهِ، وإنْ كان خرجَ يَسعَى على نفسِهِ يَعفُّها فهوَ في سبيلِ اللهِ، وإنْ كان خرجَ يسعَى رياءً ومُفاخَرةً فهوَ في سبيلِ الشيْطانِ»(٢).

الاحتساب والنية أساس العبادات لتخرجها من العادات:

١-يجب عليك أيضًا، وأنت كذلك أي في عبادة، أن تراقب الله تعالى ولا تعصه، وأنت تقود سيارتك لا تؤذِ الناس ولا تخالف أنظمة السلامة المرورية حتى لا تفسد عبادتك.

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٣٣٩٨)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: كعب بن عجرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (١٤٢٨)، حكم المحدث: صحيح.

٢- ذكر الله أثناء قيادة السيارة:

جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم- أي وجدوا بغيتهم- قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا...»[١] ما أجمل وأنت تقود سيارتك والملائكة يحفونك بأجنحتهم ويحفظونك من كل مكروه.

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٢]

أنت حين تقود سيارتك في الطريق أو في السفر فأنت بين يدي الله تعالى، وكم من إنسان خرج من بيته يقود سيارته في سفر أو في الحضر ولم يرجع بل فارق الحياة إلى غير رجعة ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: آخِرُ كَلِمَةٍ فَارَقْتُ عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ قال: «أنْ تَمُوتَ ولسانُكَ رَطْبٌ من ذكرِ اللهِ»[٣]

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: (٦٤٠٨) خلاصة حكم المحدث: [أورده في صحيحه] وقال: رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه ورواه سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٢) متفق عليه. صحيح البخاري رقم (٦٤٠٦)، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء رقم (٢٦٩٤).

(٣) الراوي: معاذ بن جبل، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (١٤٩٢)، حكم المحدث: حسن صحيح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلسَ رجلٌ مجلسًا ولا أضجعَ مضجعًا ولا مشَى ممشى لا يذكرُ اللهَ فيهِ إلا كانَ تِرَةً عليهِ يومَ القيامةِ»[1]

و (الترة) جمعها ترهات، الباطل من القول النقص والتبعة.

وشتان بين من يكون في أحب الأعمال إلى الله ومحفوفًا بالملائكة الكرام ومن يسير في الطريق على ترة والشياطين تحيط به.

٣ - شكر الله على نعمة السيارة:

إن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى، ومن أسباب المحافظة على النعمة دوام شكرها، ومن أسباب دوام النعمة، التحدُّث بها على وجه الاعتراف والإقرار، لا على سبيل الغرور والافتخار.

{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [الضحى].

وكثرة ذكرها؛ تحدثًا بفضل الله وإظهارًا لمزيده.

كما تستلزم البعد عن مزيلات النعم، وأن ينسب الفضل إلى غير أهله، كما فعل قارون حينما نسب نعمة الله عليه إلى نفسه، فقال بغرور: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ} [القصص: ٧٨]. فكان ذلك سببًا في زوال النعمة، وحلول النقمة، فخسف الله به وبداره الأرض.

السيارة نعمة من الله عظيمة فلنتأمل حال من قبلنا من آبائنا وأجدادنا كيف كانوا يتنقلون على البهائم فيأخذون وقتًا طويلًا ومشقة في طرقات السفر وتجارتهم وحمل بضائعهم للوصول إلى وجهتهم، فالواجب شكر الله على ما أنعم علينا في هذا الزمان من وسائل النقل المريحة.

ولندعُ الله تعالى عند ركوب السيارة أو شرائها أن يبارك لنا فيها، فقد ثبت عن

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: محمد بن محمد الغزي، المصدر: إتقان ما يحسن، الجزء أو الصفحة: (٤٩٦/٢) حكم المحدث: حسن.

النبي ﷺ أن من اشترى دابّةً يضع يده على ناصيتها، ويدعو هذا الدعاء «اللهُمَّ أسألُك خيرَهَا وخيرَ ما جُبِلَت عليه، وأعُوذُ بك من شرِّهَا وشرِّ ما جُبِلَت عليه»(١).

وعند شراء السيارة ممكن أن يضع يده على المقود ويدعو بهذا الدعاء، فلا حرج، والله أعلم.

٤- التواضع عند قيادة السيارة:

ما أجمل أن نقتدي بنبينا محمدٍ ﷺ في سيره ليلةَ أن دفع من عرفة إلى المزدلفة، ومعه ذلك الجمع الهائل من الحجيج، فكان يناديهم ويرفع يده اليمنى قائلًا: «يا أيها الناس، السكينةَ السكينةَ»(٢).

وكان يكبح من سرعة راحلته بشد زمامها حتى كادَ رأسها يلامس رحلها، وذلك خشية أن يشق على المسلمين في سيرهم، أو أن يضايق أحدًا منهم في طريقه.

التواضع صفة محمودة في كل الأوقات، تدل على طهارة نفس حاملها وتدعو إلى المودة والمحبة والمساواة بين الناس ونشر الترابط بينهم ومحو الحسد والبغض والكراهية من القلوب.

الخُلق الذي يجب أن يتحلى به السائق في الطريق وأثناء قيادة السيارة التواضع، فليس من حقِّ أحدٍ أن يتملك شارعًا يفعلُ فيه ما يشاء، وألا يتعالى ويتكبرِ على الغير بسبب نوع سيارته أو جنسيته أو وظيفته أو غناه.

---

(١) الراوي: جد عمرو بن شعيب، المحدث: الألباني، المصدر: تخريج مشكاة المصابيح الصفحة أو الرقم: (٢٣٨٠) خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.

(٢) الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجه، الجزء أو الصفحة: (٢٥١٢)، حكم المحدث: صحيح.

فقد قال ﷺ: «إن اللهَ أوحى إليّ أن تواضعُوا حتى لا يَفْخرَ أحدٌ على أحد، ولا يبغِي أحدٌ على أحدٍ»[1].

وقال ﷺ أيضاً: «وما تواضعَ أحدٌ للهِ إلا رفعَهُ اللهُ»[2].

فالتواضع واجب شرعي لا بد منه، خاصة إذا كنت تركب سيارة وغيرك يمشي، أو سيارتك أفخم من السيارات الأخرى، أو كنت ذا جاه أو سلطة، أو بين مواطن وزائر ومقيم، إلى آخره.. فالواجب التواضع عند قيادة السيارة.

٥- الحلم والصبر والتأني في قيادة السيارة:

الحِلم قمة في حسن الخلق ، والحِلم هو أن لا تغضب في نفسك أو في العَلَن ، والحليم لا يكون في نفسه أي غضب على من أساء إليه وهذه قمة الإنسانية.

والصبر ثمرة الحلم ، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره.

والأناة عدم العجلة في طلب الشيء ، والتمهل في تحصيله والترفق به.

قال الله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾} [ص].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»[3].

قد يواجه السائق في طريقه كثيراً من المتاعب والمشاق والمفاجآت ، فعليه أن يتصدى لهذه المتاعب والمشكلات بالحلم والصبر والأناة حتى يستطيع أن يصل إلى مقصوده بسلام.

---

(١) صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٢٨٦٥)، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الجزء أو الصفحة: (٥٧٠)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٢٥٨٨)، حكم المحدث: صحيح، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (٢٠٢٩)، حكم المحدث: صحيح.

(٣) (رواه مسلم (رقم١٧) ، وأصل الحديث متفق عليه).

ونرى كل يوم الزُحامٍ أو الاصطدامٍ أو من يؤذون الناس في طرقاتهم أو مشاحناتٍ ، مما يدفع بالإنسان إلى ردةِ فعلٍ سلبية من سخطٍ أو تلفظٍ بذيء أو شجار لا يحمد عقباه ، فعلى السائق التحلي بهذه الصفات الحميدة التي يحبها اللّه ، ولْنمتثل أمر اللّه تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾} [البقرة].

إذًا ، بالحلم والصبر والتأني في الطريق على الزحام والجهالات ومفاجآت الطريق ، يكون اللّه مع سائق السيارة.

فمن كان اللّه معه فلا يضره شيء بإذن اللّه.

٦ - احترام الأنظمة المرورية والسلامة المرورية:

الإشارات المرورية واللوحات التحذيرية، والتحويلات المرورية ومعابر المشاة، إنما وُضِعت لمصلحة الناس، وفيها حفظٌ للناس من الحوادث، فلا بد أن نعود أنفسنا على الالتزام بهذه التعليمات لسلامتنا أولا ولسلامة الآخرين، ولا بد من التعاونِ مع رجالِ المرور على تطبيق ذلك، لأن احترام أنظمة المرور والالتزام بالتعليمات واللوحات المرورية وطاعة رجال المرور من طاعة ولي الأمر الواجبة شرعا.

٧ - الإيثار في الطريق عند قيادة السيارة:

الإيثار صفة لتصرف قام به شخص لا يعود بالفائدة عليه بل على غيره، وتفضيل راحة ورفاهية الآخرين على الذات، وهو أيضًا تقديم الإنسان غيره على نفسه في نفع أو فيما هو في حاجة إليه، وتقديم مصلحة الآخرين على المصلحة الخاصة؛ رغبة فيما هو عند اللّه تعالى من الثواب الجزيل. وهو عكس الأنانية.

فالسائق يجب أن يؤثر غيره من السائقين والمشاة في كثير من الحالات رغم أحقيته بالطريق؛ وذلك حرصًا منه على السلامة لإخوته والناس جميعًا، ومنعًا لوقع الضرر والحوادث، وابتغاء مرضاة اللّه أولًا وآخرًا.

قال تعالى {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩]، وكم تشعر بلذة

الإيمان عندما تؤثر غيرك في المرور ويرفع يده ويشكرك، وهي أفضل بكثير من تجاوزه أو تأنيبه على خطئه، وقد لا يكلفك ذلك سوى لحظات أو بضع ثوان.

٨ - حسن التصرف أثناء القيادة:

من أهم ركائز الإسلام التي حث عليها ديننا الحنيف ووصى بها النبي ﷺ حسن التعامل مع الآخرين، ومن حسن التعامل إفشاء الخير بين الناس، وحسن النية في القلب، ورسم البهجة بالوجه، والبسمة على الشفاه، وهو أسلوب انتهجه الأنبياء من قبل، لقوله تعالى للنبي محمد ﷺ بسورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقوله سبحانه بسورة البقرة: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وحسن التصرف من السلوكيات الإنسانية التي يجب علينا أن نضعها في المراتب الأولى أينما ذهبنا وحيثما جلسنا أو تحدثنا أو تعاملنا؛ فهي تعني رُقي الأخلاق، والذوق في المعاملة، واللباقة في الحديث.

فواجب على السائق وهو يقود سيارته أن يتعامل مع الآخرين بأخلاق حسنة وبحسن تصرف حكيم، سواءً في القيادةِ السليمة، أو في السرعةِ، أو التعامُلِ مع زحامِ السياراتِ، أو الطرقاتِ الوعِرة أو المليئة بالمياهِ، أو عند المدارس، وفي كل الظروفِ المحتملة، حتى ينصاع إلى أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت].

٩ - الشعور بالمسؤولية ومراقبة الله أثناء القيادة:

المسؤولية شعور بالواجب يُوجِّه تفكير الشخص، كما يُوجِّه سلوكه وأقواله ومواقفه، وبذلك يصبح كل ما يَصدُرُ عنه ذا معنى ومقصد، والإحساس بعظمة الله تعالى، وتعبير عن الانقياد الصادق له، وسمة التعلق به، ومنطلق العمل في سبيله، ابتغاء وجه ربه الأعلى.

والمسؤولية بين يدي رب العالمين مسؤوليةٌ خطيرة؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥﴾ [آل عمران].

و﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر].

فالسائق يستطيع أن يتفلت من رقابة رجال المرور، ولكن المسلم يعلم أنه لا يستطيع أن يختبئ من مراقبة اللّه، فيجب عليه الشعور بالمسؤولية في حفاظه على الناس وممتلكاتهم، وأن يستشعر رقابة اللّه وعظمته. ومما يتوجبُ عليه أيضًا الحفاظ عليها من غيرِ تعدٍ أو تفريطٍ، وكذلك إن صَدَرَ منه إضرارٌ للأنفس والممتلكات فإنه يعرف أنه ليس من الرجولةِ والشهامةِ والشجاعةِ التهرّبُ من المحاسبة فيه.

١٠ – حسن استغلال الوقت عند القيادة:

استغلال الوقت إحدى العلامات الفارقة بين الأمم المتقدمة والمتأخرة، وإن الكثير من النصوص القرآنية والنبوية تُشير بوضوح إلى عِظم قيمة الوقت، وإلا فما معنى أن يقسم اللّه في العديد من سور القرآن بأزمنة وأوقات مختلفة كالليل والنهار والضحى، والمعروف أن القَسَم هو لتعظيم المُقْسَم به، وفي الأحاديث النبوية حثٌّ وحضٌّ على اغتنام الوقت: «اغتنم خمسًا قبل خمس» وذكر منها: «وفراغك قبل شغلك»[١].

فعلى السائق أن يعرف متى يحينُ الوقت المناسب للذهابِ بالسيارة، ومتى تأتي الحاجة إليها، وكذلك يعرفُ أنفعَ الأعمال التي يقضيها في سيارته كقراءةٍ قرآن أو الاستماع له، أو إنصاتٍ لمحاضرةٍ، أو إشغالِ لسانه بالدعاء أو الذكرِ، حتى يُبارِكَ اللّه تعالى في أوقاتِه ويحميه من المكروه في طرقاته.

(١) الراوي: عبداللّه بن عباس وعمرو بن ميمون، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (١٠٧٧)، حكم المحدث: صحيح.

١١ - معرفة عواقب التهور في قيادة السيارة:

كم من فعل أو قول من إنسان اعتدى به على غيره بطيش، واندفع دون مبالاة ودون تصور للعاقبة، وخاطر من غير تأن ولا رَويَّة في غير موضعها، فأهلكت صاحبها وحرمته النجاة وأورثت حزنًا طويلًا وربما دائمًا.

فعلى السائق أن يدرك ما يسببُهُ التهور في النزاعات الشخصية على أسباب واهية، والتهور في السرعة الزائدة عن الحد المسموح به، ونتائج ذلك من حوادثَ أو إصاباتٍ أو وفياتٍ أو مخالفاتٍ أو دِيّاتٍ، ويعرفُ العاقبةَ المتوقّعة من سيارةٍ لم يتفقّد ضرورياتِها مثلِ العجلاتِ، والأنوارِ، والوقودِ، والمحرّكاتِ، وغيرِها، وتذكر دائمًا أن تعطي فرصة لنفسك أن تهدأ قبل أن تتخذ قرارًا قد تندم عليه مدى الحياة.

١٢- عدم القيادة عند الشعور بالتعب أو النعاس:

فليست من الحكمةِ قيادةُ السيارةِ في حالِ مرضٍ أو تعبٍ أو سهرٍ أو حزنٍ أو غضبٍ، فإن هذا يُعدُّ إلقاء النفس في التهلكة، قال تعالى {وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥].

واعلم أخي السائق أن الله يعلم ما تخفي وما تعلن، وأن كل ما تفعله يكتب عليك، قال تعالى:

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١} [الانفطار].

ثالثا: الطريق واستخدامه من المنظور الشرعي

الشريعة الإسلامية اهتمت كل الاهتمام بتنظيم شؤون الحياة كلها، صغيرها وكبيرها، ومنها ما هو متعلق بحركة الناس وسلامتهم في الطرقات، والحقوق والآداب التي أمر بها الإسلام المارة وأهل الطريق وما سمي في زماننا المرور أو السلامة المرورية في الطرقات والشوارع.

والنصوص الشرعية في هذا الباب عديدة ومستفيضة، نورد منها على سبيل المثال:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].

وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء].

وبين النبي ﷺ بعض حقوق الطريق وآداب المرور في عدة توجيهات منها:

ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إياكم والجلوس في الطرقات»[(١)] قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا وما حقه قال: «غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(٢)]

وجاء عن النبي ﷺ في ذكر بعض أبواب الخير قوله:

«وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة»[(٣)]. إن مصادر

---

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٢٤٦٥)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي عمر بن الخطاب، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الجزء أو الصفحة: (٢٥٠١)، حكم المحدث: صحيح.

(٣) الراوي: أبو ذر الغفاري، وفي صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (١٩٥٦)، والمحدث: =

الشريعة الموثقة قد غصت بأمثال هذه النصوص مؤكدة هذه الحقوق، ومرشدة إلى هذه الأخلاق.

ونبين في ما يلي بعض آداب الطريق الواجب التحلي بها:

١- الهون في المشي وقيادة السيارة:

{وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴿٦٣﴾} [الفرقان].

الهَوْنُ: سكينة، ووقار وتواضع ، علَى هَوْنِكَ: عَلَى رِسْلِكَ.

الهَوْنُ من الخيل: المِطواعُ السَّلِس، الهَوْنُ: الرِّفقُ والتُّؤَدة.

هذه بعض المعاني التي تحملها كلمة الهون.

عباد الرحمن تسمية من الله تعالى للذين يمشون (رجالًا أو ركبانًا) على الأرض هونا، لا كبر ولا خيلاء، لا تصنع ولا تكلف، شخصية متزنة، ونفس سوية مطمئنة، وقار وسكينة، لا يمشون في الأرض مرحًا، لا يزاحم ويحترم الآخرين، لا يجهل فينعطف بسيارته يمنة ويسرة على هذا وذاك ويشتم هذا ويرفع يده متوعداً ويلوح بالأخرى مهدداً، بل من جهل عليه قال له سلاماً، يحترم آداب الطريق والشاخصات المرورية، وقوانين السير، ويحترم نفسه قبل كل شيء، حتى يحترمه الآخرون، إنهم العباد الذين تتنزل عليهم الرحمات لأنهم عباد الرحمن.

٢- خفض الأصوات للسائق وأجهزة السيارة:

خفض الصوت وأدب الحديث في الطريق من صفات أصحاب الخلق الرفيع، إنه عنوان الثقة بالنفس، وصدق الحديث، وقوة الحجة، يصاحب ذلك حلم وصفح، وإعراض عن البذاءة من القول، والفحش من الحديث، تجنبًا لحماقة الحمقى، وسفاهة السفهاء. ولا يرفع صوته من غير حاجة إلا سيئَ الأدب ضعيف الحجة، يريد إخفاء رعونته بالحدة

= الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (٢٩٧٠)، حكم المحدث: صحيح لغيره.

من الصوت، والغليظ من القول. وسائق السيارة يلزمه خفض صوته، فلا يرفع صوت المذياع أو مسجل السيارة ليسمع من في الشارع ويؤذي المارة من حوله، كما يلزمه أن يراعي غيره عند استخدام منبه السيارة، فلا يستعمله إلا عند الحاجة، مراعاة لشعور إخوانه المسلمين.

٣- غض البصر خاصة عند الوقوف على إشارة المرور:

ذلك حق لأهل الطريق من المارة والجالسين.. تحفظ حرماتهم وعوراتهم، فالنظر بريد الخطايا، وإنك لترى في الطرقات والأسواق من يُرسل بصره محمَّلًا ببواعث الفتنة، ودواعي الشهوة، وقد يُتبع ذلك بكلمات وإشارات قاتلة للدين والحياء مسقطة للمروءة والعفاف. كما ينبغي على راكب السيارة مراعاة حرمات الناس وعوراتهم أثناء الوقوف عند الإشارات المرورية لقرب السيارات بعضها من بعض، كما ينبغي الحذر من المعاكسات من راكبي السيارة للمارة التي أصبحت ظاهرة مَرَضية ومنكرًا علنيًا في كثير من الطرقات.

٤- كف الأذى في الطريق:

وكف الأذى عن الطريق من أبرز الحقوق. والأذى كلمة جامعة لكل ما يؤذي المسلمين من قول وعمل وفعل، يقول عليه الصلاة والسلام: «لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»[(١)].

وحينما طلب أبو برزة رضي الله عنه، من رسول الله ﷺ أن يعلمه شيئًا ينتفع به قال: «اعْزِلِ الأذى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»[(٢)].

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (١٩١٤)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٥١٣٤)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو برزة الأسلمي، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٢٦١٨)، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (١٠٥٢)، حكم =

وفي خبر آخر: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخَّره، فشكر الله له؛ فغفر له»(١).

وإذا كان هذا الثواب العظيم لمن يكف الأذى، فكيف تكون العقوبة لمن يتعمد إيذاء الناس في طرقاتهم، ويجلب الرعب والفزع بسيارته، وينشر الفساد في الطريق.

روى حذيفة بن أسيد ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «من أذى المسلمين في طرقهم؛ وجبت عليه لعنتهم»(٢).

٥- الطريق وضع ليستخدمه الجميع:

الطريق من المرافق العامة، للجميع الانتفاع به بما لا يضر الآخرين باتفاق الفقهاء، ومنفعته الأصلية المرور فيه، لأنه وضع لذلك، فيباح لهم الانتفاع بما وضع له، وهو المرور بلا خلاف، وكذلك يباح للجميع الانتفاع بغير المرور مما لا يضر المارة، كالجلوس في الطريق الواسعة أو الانتظار للمارة وللسيارة إن لم يضر المارة أو السيارات الأخرى، فإن ضر المارة والسيارات الأخرى أو ضيق عليهم لم يجز، ولا يحق لأحد أن يوقف سيارته بما يضيق على الآخرين، ولو للحظات، لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»(٣).

= المحدث: صحيح.

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٢٤٧٢)، والمحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (١٩١٤)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع. الجزء أو الصفحة: (٢٨٧٤).

(٢) الراوي: حذيفة بن أسيد الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (١٤٨)، حكم المحدث: حسن.

(٣) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: النووي، المصدر: الأربعون النووية، الجزء أو الصفحة: (٣٢)، حكم المحدث: حسن.



كما ذهب الفقهاء إلى حرمة التصرف في الطريق النافذة ويعبر عنه بـ(الشارع) بما يضر المارة في مرورهم، لأن الحق لعامة المسلمين، فليس لأحد أن يضرهم في حقهم.

يتضح مما سبق تشديد الفقهاء ومنعهم أي تصرف قد يضر المارة ويمنع استحقاقهم للطريق؛ لأنه حق للجميع، ولهذا نُهي عن الصلاة في قارعة الطريق مع أنها أعظم عبادة.

ولهذا لا ينبغي لأصحاب السيارات قطع طريق نافذ لأغراض شخصية، ولا تضييقه على المارة، ولا منع أحد من التصرف فيه، بل يأثم شرعًا إن تعمد إيذاء أحد في الطريق.

٦- الطريق أمن وأمان:

يعتبر قطع الطريق وإخافة السبيل وترويع الآمنين من الذنوب الكبيرة، فالطريق يجب أن يكون آمنًا لا خوف على النفس والمال فيه.

وحيث إنه لا يجوز استخدام السلاح أو حمل ما يزعج الناس أو يخيفهم ولو لم يقصد الاعتداء، كمن يمشي في طريق الناس أو في أسواقهم وهو يحمل سيفًا خارجًا من غمده، أو خنجرًا مظهرًا حدّه، أو معه مسدس أو بندقية محشوة رصاصًا، ولا يضمر في نيته القتل، لكنه قد يتسبب في ذلك عن غير قصد، فالأولى ألا يفعل ذلك؛ لأنه لا يضمن الإضرار بغير قصد. قال علية الصلاة والسلام: «إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصلها ثم ليأخذ بنصلها ثم ليأخذ بنصلها...»[١].

لأن السلاح أداة قتل وكذلك السيارة، إذا لم يؤخذ بمقودها بالطريقة السليمة، تنقلب إلى سلاح قاتل، إن استعملت أيضًا في غير ما خصصت له أو استخدمت برعونة وتهور ولا مبالاة فهي تقتل أيضًا، وهذا واضح من حوادث السير القاتلة التي نشاهدها كل يوم.

---

(١) الراوي: أبو موسى الأشعري عبدالله بن قيس، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٢٦١٥)، حكم المحدث: صحيح.





هذا ليس انفجارًا، وإنما حادث سير!!!



الفصل السادس

أسباب المخالفات والحوادث المرورية

وعلاجها من الناحية المرورية والشرعية



أسباب المخالفات والحوادث المرورية وعلاجها من الناحية المرور والشرعية

الحوادث المرورية: هي نتيجة تفاعل العناصر الثلاثة (السائق، السيارة، الطريق).

والحادث المروري يقع نتيجة خلل في أحد هذه العناصر.

تعريف الحادث المروري:

الحادث المروري هو حدث اعتراضي يحدث بدون تخطيط مسبق من قبل سيارة (مركبة)، واحدة أو أكثر مع سيارات (مركبات) أخرى أو مشاة أو حيوانات أو أجسام على طريق عام أو خاص، وعادة ما ينتج عن الحادث المروري أضرار وإصابات تتفاوت من طفيفة بالممتلكات والمركبات إلى جسيمة تؤدي إلى الوفاة أو الإعاقة المستديمة.

تعريف مخالفة السير:

ارتكاب فعل يخل بقوانين السير أو الخروج عن المألوف في الطريق أو معارضة النظام المروري.

والحادث المروري إذا كان مخططًا له فهو جريمة له حكم آخر.

أنواع الحوادث المرورية:

- تصادم بين سيارات متقابلة (وجهًا لوجه).
- تصادم على شكل زاوية (تصادم بين سيارات عند التقاطعات).
- تصادم من الخلف (سيارات تسير بنفس الاتجاه).
- تصادم جانبي.
- تصادم أثناء الدوران (الالتفاف).
- صدم سيارة متوقفة.
- صدم جسم ثابت.
- حادث لسيارة واحدة (عادة انقلاب أو فقدان السيطرة على السيارة).
- دهس مشاة.
- صدم دراجة.



- صدم حيوان.

الشريعة الإسلامية قد ألمحت وأشارت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الحوادث بمختلف أنواعها من تصادم ودهس وانقلاب وسقوط وغير ذلك، وهي لا تخرج عن كونها أحد أنواع الجنايات، فحوادث المرور تعد جناية من الجنايات، مرتكبها ضامن حسب نسبة الخطأ المترتبة عليه.

أسباب الحوادث من وجهة نظر المرور:

والأسباب المرورية للحوادث هي الأفعال المخالفة للمرور وتعليمات السلامة المرورية وأهمها:



١- المخالفات المرورية:

السرعة الزائدة، التفحيط، والتجاوز الخاطئ، وقطع الإشارة الحمراء، والسير عكس الطريق، والوقوف في أماكن سير السيارات التي حددها المرور، استعمال الجوال أثناء القيادة، السير ليلًا دون استعمال الأنوار، قيادة السيارة بعكس اتجاه السير، عدم الجاهزية الفنية للسيارة، السير أثناء الضباب دون استخدام الأنوار، عدم التقيد بإشارة الأفضلية واللوحات التحذيرية والمرورية، عدم إعطاء المشاة أولوية المرور على

الأرصفة ومعابر المشاة الخاصة بهم، وغيرها من المخالفات المرورية التي تدل على عدم احترام الأنظمة والتعليمات المرورية.

والحل هو: الالتزام بقواعد المرور والسلامة المرورية، وعدم مخالفة أنظمة السير.

٢- أسباب اجتماعية ونفسية:

هناك أسباب اجتماعية تنعكس على سلوك الفرد (السائق):

من العوامل الاجتماعية: (الفقر، الحرمان، الضغوط المعيشية، ضيق فرص النجاح، الإحباط، القلق، خيبة الأمل، التمرد على المجتمع، العداء، الشعور بالروتين).

وهناك أسباب نفسية، من بينها: (السلوك العدواني عند بعض الشباب في الدفاع عن ملكيته الخاصة، حب المغامرة وركوب المخاطر، الإجهاد عند قيادة السيارة لفترات طويلة مستمرة لتحقيق الأهداف، شرب الكحول، الطبيعة البشرية في الدفاع عن الحيز الجغرافي خاصة عند الشباب).

والحل: (خاصة عند الشباب) لا بد من غرس القيم الاجتماعية والأخلاق النبيلة التي توجه الفرد إلى حسن التعامل مع الآخرين، حتى يميز بين الصواب والخطأ، وإشعاره بأن حياته ذات معنى وليس مجرد حياة هامشية لا هدف له فيها، وغرس القيم السامية في نفسية الفرد مثل: (الأمانة، المصداقية، الشجاعة، الإبداع، الثقة بالنفس، العادات والتقاليد الحسنة، وأهمها الالتزام الديني في كل المجالات.. وهذا ما سنفصله لاحقا).

٣- قيادة صغار السن السيارات:



الأطفال الذين تقل أعمارهم عن السن القانونية عالميًا (١٨) سنة.. حيث ثبت أن كثيرًا ممن يتسبب في هذه الحوادث قد بدؤوا القيادة قبل سن السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة، وهذا يعني أن غالب هؤلاء قاموا بقيادة السيارة قبل السن النظامية المقررة عالميًا، حيث تعلموا قيادة السيارة دون الإلمام بكافة الجوانب الخطرة، حيث إنهم غير مؤهلين لصغر سنهم، وقلة خبرتهم بأصول القيادة السليمة، وعدم وجود الثقة الكافية مما يساعد على تعرضهم للحوادث المرورية حتى بعد بلوغهم السن القانونية.

ظاهرة قيادة صغار السن السيارات خطيرة، وهي نتاج ثقافة مجتمع، وفي الدرجة الأولى الأسباب الاجتماعية سبب اتساع هذه الظاهرة، وأيضًا ظاهرة التقليد، فعندما يصبح عمر الطفل ١٤ عاما يبدأ بطلب سيارة، ويضغط على الأسرة، رغبة منه أن يصبح مثل أصدقائه وزملائه.

ولا بد من الحد من هذه الظاهرة الخطيرة، والرقابة المرورية يجب أن تكون أكبر، والأنظمة يجب ألا يتم التساهل في تطبيقها بشكل كبير، والجميع يتحمل مسؤولية هذه الظاهرة من إعلام ومدارس وأسر، وأنه لا بد من تكاتف الجميع حتى نستطيع اجتثاثها. وقائد السيارة يحتاج إلى الاستجابات الحركية السريعة، وإلى قصر زمن ردة الفعل حتى يستطيع التحكم في وقوف السيارة في الوقت المناسب، أو الانحراف يمينًا أو يسارًا عند ظهور مثيرات مفاجئة أمامه، كوقوف سيارة بسرعة خاطفة أمام سيارته، أو مرور طفل بدراجة، أو كهل يعبر الشارع ويمشي ببطء، أو عائق صلب يعترض الطريق، أو غير ذلك من الأشياء التي يجب تفاديها لتلافي حدوث أخطار أو تصادمات، وهذا ما لا يستطيع فعله صغار السن؛ لعدم اتساع المدارك المكتسبة بالخبرة في قيادة السيارة.

وكم هي القصص المحزنة التي مات فيها الأبناء بأول يوم ركبوا فيه السيارة، ألا فليتق الله أولئك الآباء الذين لم يجدوا علاجًا لقطع أُنس جلساتهم وسهراتهم إلا بتسليم مفتاح السيارة للمراهقين الصغار ليتفرغوا هم للسهرات والسفرات.

إن العاقل ليعجب أن تعطى قيادة السيارات لهؤلاء الصغار الذين لا يستطيعون التصرف في ساعة الخطر.

٤- عدم إدراك أصول القيادة السليمة:

ترى بعض السائقين لا يتقنون قيادة السيارة في الطرق الخالية من السيارات، فكيف إذا خرجوا بسياراتهم بين الناس في الطريق العام المزدحم بالسيارات، قطعًا سيتسببون في كثير من الحوادث.

٥- القدوة السيئة لقيادة السيارة:

توجد نظرية في التعلم تسمى النظرية الاجتماعية، هذه النظرية تبنت فكرة التقليد؛ حيث إن الإنسان يقلد الآخرين من حوله، فيقلد والديه وأصحابه ومعلميه ونماذج المجتمع المشهورة، ولكن تعتمد فكرة التقليد على مبدأ أساسي، ألا وهو «قوة

النموذج» التي جذبت انتباه الفرد تجاه هذا النموذج، فالإنسان يحيط به الكثير من الأشياء لكنه ينتبه إلى أكثرها قوة، كأن ينتبه إلى مخالفة سير ارتكبها والده مثلا، وبعد أن ينتبه الفرد للنموذج يحتفظ بالمعلومات التي اكتسبها منه، ثم يبدأ في تقليدها.

الحل: الواجب على (الوالد أو الأخ الأكبر أو المعلم أو العم..) عدم قيادة سياراتهم برعونة أمام الأبناء وعدم دفاع الآباء عن أبنائهم المخالفين، وأن يكونوا النموذج القدوة لأبنائهم وللشباب أيضًا عند قيادة السيارة، حيث يقتدي الابن بأبيه والأخ بأخيه وهكذا، فيرى الأبناء سلوكيات من هم أكبر منهم سنا مع قيادة السيارة ويقلدونهم؛ فيتعلم حسن التصرف الجيد إن كانوا يحسنون التصرف وخاصة الأخ الأكبر إذ يقتدي به الإخوة الصغار.

٦- التقليد الأعمى للمخالفين والجهل المروري:

عدوى التقليد بين الشباب تدفع لارتكاب المخالفات المرورية، وكثير من الشباب يشجعون ويحمسون بعضهم على ارتكاب مخالفات السير وأنها بطولة أو تحدٍ، ليصل إلى قناعة أنه لا فرق بين الالتزام بالمرور والمخالفة، وفي كثير من الأحيان يرتكب السائق المخالفات المرورية لكون الطرقات مزدحمة، أو لأنه مستعجل، أو لعدم وجود رجل مرور، وعدم وعيه بنتائج المخالفة والحادث.

ولعلاج ذلك لا بد من التوعية المرورية، وخاصة للشباب وصغار السن وحسن العلاقة بين رجال المرور والسائقين؛ لتلافي المخالفات المرورية، ومن ثم خفض نسب الحوادث المرورية.

٧- اختلاف ثقافة قيادة السيارة:

هناك سبب قد لا يكون ظاهرا أو لا ينتبه له الكثيرون قد يتسبب في ارتفاع وتيرة حوادث السير يتعلق باختلاف الثقافات بسبب تعدد الجنسيات والذي يؤدي إلى اختلاف ثقافة قيادة السيارات، والأمر أكثر استفحالًا في دول الخليج العربي.

٨- أسباب حوادث المرور التي يتعرض لها الأطفال:

هناك عدة أسباب قد تعرض الأطفال لحوادث سير من بينها:

- الطبيعة الاندفاعية للطفل لا تمكنه من التدقيق والنظر في جميع الاتجاهات عند العبور.

- ضعف الوعي المروري، وعدم الإلمام بنظم وقواعد المرور.

- عدم اكتمال المدارك الحسية للطفل يجعله من الصعب عليه فهم طبيعة حركة المرور وتقدير مسافة وسرعة المركبات القادمة.

- اللعب في الطرق العامة دون مراقبة أو إرشاد من أولياء الأمور.

- ضعف التركيز والانتباه لدى الطفل.

- عدم التركيز والانتباه من قائد المركبة.

- التصرفات القاتلة للأطفال سببها تقليد الكبار.

كثيرًا ما يقوم الأطفال بتقليد آبائهم وأمهاتهم بالجلوس خلف مقود السيارة وإدارة المحرك، وقد وقعت حوادث كثيرة نتيجة لذلك. إنّ ترك الطفل وحده في المركبة من أكثر الأخطاء شيوعًا، لكونه لا يقدر ما سيحصل له؛ وذلك لانصراف فكره إلى اللعب والتسلية غير مدرك للأخطار التي تنجم عن تصرفه.

كيفية العبور الصحيح:

- اختيار المكان الآمن (العبور من الأماكن المخصصة للمشاة).

- الابتعاد عن حافة الطريق عند الوقوف على الرصيف.

- استخدام النظر والسمع قبل العبور، وإذا كانت هناك سيارة قادمة وقريبة فيجب الانتظار حتى تمر ومعاودة النظر إلى اتجاهي الشارع مرة أخرى.

- الطريق ليس مكانا للعب، على الأطفال اللعب بعيداً عن الطريق لتجنب أخطاره.

والمطلوب أيضًا من الجهات المختصة:

الاهتمام بالمخالفات التي تشكل خطرًا على السلامة المرورية، وإنزال أشد العقوبة

بمرتكبيها، كالسائق الذي يقود السيارة في حالة سكر، أو السائق المفحط، أو المخالفة المتعمدة.

يجب إحداث مادة ضمن المناهج الدراسية في مرحلتي المتوسط والثانوي تركز على السلامة المرورية والقيادة السليمة، وما ينتج عن المخالفات من حوادث مؤلمة وجسيمة.

إنشاء جهاز فني متخصص يعمل على التحري عن مشاكل حوادث المرور ودراستها، والتوصل إلى أسبابها، وطرق علاجها، وتقليلها إلى الحد الأدنى.

أسباب الحوادث من وجهة النظر الشرعية وعلاجها

النفس البشرية ليست ملكًا لأحد، وإنما هي ملك لخالقها وموجدها ۵. وهي أمانة عند الإنسان، سيسأل عنها يوم القيامة، أحفظها وقام بحقها، أم ضيعها وظلمها، ولم يقم بما يجب عليه تجاهها؟ ودم المسلم على المسلم حرام.

كما حض الإسلام على احترام الملكية الفردية والأملاك العامة وعدم التعدي عليهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١).

فهذا يؤكِّد حرمةَ المالِ، ويُنزِّلها منزلةَ النفس سواءً بسواء، فلا تُنتَهك، ولا تتلف بأيِّ وسيلةٍ من الوسائل الأخرى التي لم يأذَن بها اللّه.

ولهذا، فلا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه أو غيره، وليس له أن يُضر بنفسه بحجة أنه يتصرف فيما يخصه، وأنه لم يعتد على غيره، فإن اعتداءه على نفسه كاعتدائه على غيره عند اللّه تعالى، ولا أن يتلف ماله أو مال غيره.

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٢٥٦٤)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٧٢٤٢)، حكم المحدث: صحيح.

قال الله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴿٢٩﴾} [النساء].

نهي للمسلمين أن يقتل بعضهم بعضا، ونهي للمسلم عن قتل نفسه، سواء كان ذلك بتعمد قتلها مباشرة، أم بفعل الأخطار المفضية إلى الهلاك والقتل. قال الله تعالى: {وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ} [البقرة].

وإلقاء الأيدي إلى الهلاك أي طرح النفس في التهلكة، والتهلكة مصدر من هلك يهلك هلاكًا وهُلْكًا وتهلكة، أي لا توقعوا أيديكم، والمراد أنفسكم، في الهلاك، ذكر البعض وأراد الكل.

وقد تبين لنا أن الالتزام بأنظمة المرور والسلامة المرورية مما يحفظ النفس والمال من الهلاك، وإن مخالفة أنظمة المرور والسلامة المرورية أحد أسباب التهلكة للنفس وتلف المال، والحفاظ على النفس والمال مقصدان من مقاصد الشرع الحكيم.

رغم أن سياراتهم حديثة، وطرقاتهم جيدة، وذلك بسبب غياب التنظيم الجيد؛ حيث يجد السائق نفسه في ظروف مثالية (سيارة وطريق جيدين) لذا ينحو غالبا إلى السير بسرعة مفرطة، لانعدام الشعور بالخطر، وبالتالي تصبح الظروف المثالية أكثر إنتاجًا للحوادث الخطيرة، وهذا تناقض صارخ مبعثه العامل البشري. هذه النظرية تسمى (نظرية توازن الخطر) وكأن بكل سائق قد حدد لنفسه مستوى معينًا من الخطر أثناء القيادة، فكلما هبط مستوى تصوره ورؤيته للخطر ارتفع مستوى المجازفة والعكس بالعكس.

من خلال هذه النظرية وجد الباحثون أنه لا بد من الردع للحفاظ على عنصر التنظيم في مجال السلامة المرورية للحد من الحوادث من خلال المخالفات والمحاسبة، حيث تؤثر على رفع مستوى الخوف من المحاسبة، وبالتالي يلجم السائق على القيام بسلوك مخالف للسلامة المرورية.



والشريعة الإسلامية قد سبقت كل الأبحاث في هذا المجال من خلال التنظيم والردع من خلال اكتساب السيئات في المخالفات المرورية، والحض على تقوى اللّه عز وجل، والترغيب في الثواب في تطبيق أنظمة وقوانين السلامة المرورية، وبذلك يرتفع مستوى الخوف والحذر والمراقبة الذاتية عند المسلم عند استخدامه الطريق (سائقًا أو ماشيًا أو راكبًا)، ويلجمه على القيام بسلوك مخالف للقانون نابع من العقيدة الدينية ألا وهي عبادة اللّه، المتمثلة في تطبيق ما أمر والنهي عما نهى.

بسبب ابتعاد المسلمين اليوم عن تعاليم الشرع في مجال السلامة المرورية كثرت الحوادث في طرقاتهم.

إذًا، هناك أسباب لمخالفات السير من وجهة نظر شرعية.

المقصود بالأسباب من وجهة النظر الشرعية هي مخالفة المسلم لما يجب عليه فعله في الطريق وارتكاب ما هو واجب عليه تركه.

إن الابتعاد عن تطبيق تعاليم الشرع من الأسباب الهامة والهامة جدا للمخالفات المرورية، التي تؤدي إلى حوادث السير، وهو عدم استحضار مراقبة اللّه وعدم طاعة أولي الأمر في هذا المجال، وعدم الالتزام بتطبيق تعليمات السلامة المرورية، ومن بين الأسباب من وجهة النظر الشرعية:

١- التناقض في أفعال بعض المسلمين وعدم اتباع سبل السلامة:

التناقض بين الأفعال والأقوال حالة يمقتها اللّه عز وجل ، وليحذر المسلم أن يقول وينصح دون تطبيق، خاصة الدعاة أن يراهم أتباعهم على خلاف ما يدعونهم.. مهمة التبليغ سهلة أمام مهمة التطبيق، فلا يجوز للمسلم أن يتكلم عن حسن الخلق وعدم إيذاء الناس وحفظ حقوقهم وحقوق الطريق ويقود سيارته برعونة ويقطع إشارة مرور أو يعرقل السير أو يزعج الآخرين بأصوات سيارته، أو يقرأ القرآن من المصحف مباشرة وهو يقود سيارته في طريق سريع ويدعي بعدها أنه مسلم ملتزم، لا بد أن يكون أسوة

حسنة قبل أن يكون داعية ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

أن تكون مع المؤمنين، أن تعاونهم، أن تصلح طرقاتهم لتخفف من معاناتهم، هذا يرضي الله عز وجل، وأكبر عطاء إلهي في الدنيا لمن اتبع رضوان الله أنه يهديهم سبل السلام قال تعالى:

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة].

إذًا، أنت حينما تتبع منهج الله يهديك الله إلى سبل السلام، والسبل جمع سبيل، للسلام مع نفسك، وسبل السلام مع مجتمعك وفي طريقك وعند قيادة سيارتك، أنت حينما تطبق منهج الله في طريقك فأنت قد هديت سبل السلام وأصبحت سائقًا محترمًا ملتزمًا بقوانين السير، تؤدي واجبك بالتمام والكمال من دون رقيب، فقد هداك الله إلى سبل السلام.

العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن، لو طبق السائق هذه النصيحة لقاد سيارته بسلام.

إن اتباع سبل السلام في الدنيا يوصل إلى سبل السلام في الآخرة، وهذا هدف كل مسلم.

٢-ضعف الإيمان وعدم إدراك الإنسان الغاية التي خلقه الله تعالى من أجلها:

القلب إذا كان عامرًا بالإيمان لم يجرؤ أن يسبب لنفسه الأذى أو لغيره، لقول النبي ﷺ: «لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه»(١).

(١) الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (١٣)، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الجزء أو الصفحة: (٥٠٣١)، حكم =

وكثير من الناس تجد أهدافهم محصورة وقاصرة على الدنيا وعلائقها، كل همهم في الحياة إشباع شهواتهم، وإرضاء نزواتهم، والبعض لا يعلم له هدفًا أصلًا، وإنما يعيش في هذه الحياة هملًا كما يعيش الحيوان، لا يعلم لِمَ خُلق، ولا لِمَ يعيش.

وقد حدد الخالق سبحانه للإنسان هدفه وغايته، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]

إذًا، فهدف الإنسان وغايته التي ينبغي أن يعيش من أجلها، هي عبادة الله عز وجل وحده، بالمفهوم الشامل، وبكل ما تحمله كلمة العبادة من معانٍ صحيحة، وهي التي عرَّفها لنا العلماء بقولهم: (إن العبادة هي كل ما يرضاه الله تعالى من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة).

فكل قول باللسان، وكل فعل بالجوارح، وكل شعور وإحساس ظاهر أو باطن، ينبغي أن يُوجَّه لله ، ويتحول إلى عبادة له سبحانه ويندرج تحت الإيمان بالله، ويعني ذلك دمج كل الأهداف والغايات المحصورة والقاصرة في هذا الهدف الأكبر، وهذا الدمج يعطي لها امتدادًا ورفعة وسموًّا، يربط الإنسان بخالقه سبحانه، ويجعله ينفلت من جاذبية الطين والماء، ويحلق مع الملأ الأعلى في السماء.

وكما قال النبي ﷺ: «لا يَزْنِي الزانِي حينَ يَزْنِي وهوَ مُؤْمِنٌ ولا يشربُ الخمرَ حينَ يشربُها وهوَ مُؤْمِنٌ ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حينَ يَسْرِقُ وهوَ مُؤْمِنٌ ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ الناسُ إليهِ أَبْصارَهُمْ حينَ يَنْتَهِبُها وهوَ مُؤْمِنٌ»(١).

المسلم المؤمن يعلم علم اليقين أن الله يراه ويراقبه في كل أحواله، ولكن ساعة

= المحدث: صحيح.

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجة، الجزء أو الصفحة: (٣١٩٤)، حكم المحدث: صحيح.

المخالفة لا يستحضر ذلك، ولا يرى الثواب ولا العقاب، إنه لا يرى إلا أنه قد حقق شيئًا جيداً من خلال هذه المخالفة وزين الشيطان له حلاوتها، فهو كالعصفور الذي يرى الحب في الفخ، ولا يرى الفخ الذي فيه هلاكه، فيقتحم مُسرعًا فيهلك والعياذ بالله.

٣-وسوسة الشيطان في ارتكاب المخالفة:

لا يحتاج المؤمن إلى بيان عداوة الشيطان، ولا يحتاج إلى معرفة طرق النجاة منه بعد أن صرح القرآن الكريم بذلك كما في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾} [فاطر].

وقوله تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾} [الإسراء].

ولكن لا بأس في التذكير بعداوة الشيطان، والتحذير من حبائله، لا سيما إذا عرفنا أن لإبليس طرقًا خفية ومكائد كثيرة وأفخاخًا متعددة يصطاد بها من يغفل عن الله.

إن الشيطان هو العدو الأول للإنسان، فهو لا يهنأ ولا يهدأ له بال حتى يستدرج الإنسان إلى هلاكه، وهو كما أخبر ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم في العروق»[(١)]

والشيطان -لعنه الله- يسير معك ويستدرجك خطوة خطوة (فقط ١٢٠ كلم أسرع)، ويقتحم بك عقبة عقبة (أسرعِ أكثر لتصل أبكر ١٤٠ كلم لا بأس)، لا يكل ولا يمل (١٦٠ كلم حاول أكثر سيارتك حديثة ١٨٠ كم) وبعدها الله أعلم.

الإشارة المرورية عندما تبدأ صفراء تعني التمهل وتخفيف السرعة استعدادا للوقوف، ولكن الشيطان يكتفي في المرة الأولى أن تقطعها، ويوسوس لتصبح معناها أسرع

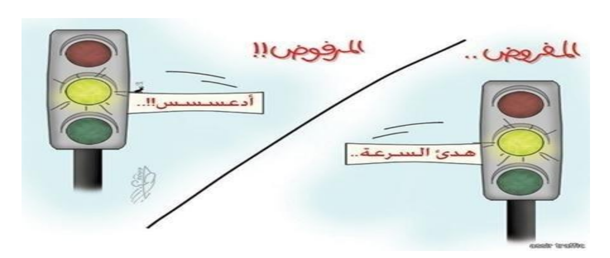
---

(١) الراوي: صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ، المحدث: أبو نعيم، المصدر: حلية الأولياء الصفحة أو الرقم: (٣/١٦٩) خلاصة حكم المحدث: من صحاح حديث الزهري متفق عليه.

والحق قبل أن تصبح الإشارة حمراء.

اليوم يرضى الشيطان منك قطع الإشارة الصفراء، وغداً يوسوس حتى تقطع الإشارة الحمراء، ويتسبب لك في حادث. فقد قطع العهد على نفسه بأن يهلكك، وأن يأمرك بالفحشاء والمنكر، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت].



٤- مخالطة رفاق السوء أثناء قيادة السيارة:

أكثر ما يضر الشباب ويحرفهم عن المنهج الصحيح مرافقة أهل السوء، فيشجعونه على كل ما هو سيئ وضار، لهوًا ولعبًا ودون إدراك للمخاطر، (سيارتك أحدث ويسبقك)، وما التفحيط وأضراره (فحط وأرنا مهاراتك) إلا من مرافقة أصدقاء السوء والنظر إلى أفعالهم. وقُل لي من تصاحب، أقلّ لك من أنت، إذا سمعت لهم تهورت وندمت.

ورفاق السوء يشجعونك على المخالفة وقطع طرقات الناس، وبذلك يقطع الطريق بينك وبين الله، فكلما سلكت دربا يوصلك إلى الله عز وجل حاولوا أن يصرفوك عنه إلى طريق الغواية.

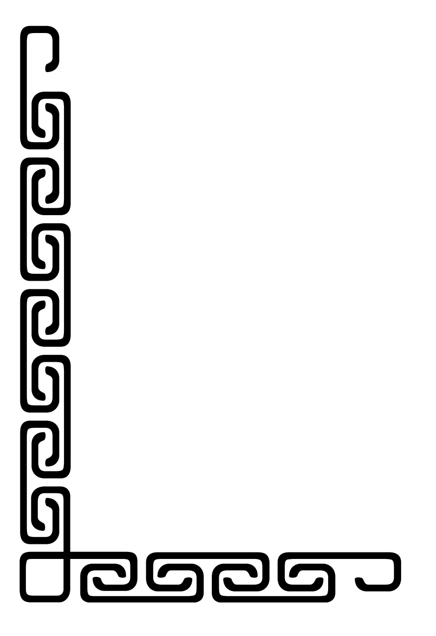
٥-اتخاذ المخالفة عادة دون الشعور بالذنب:

كأن يكون السائق قد تعود السرعة في قيادة السيارة أو تعود المخالفة أو أي عادة سيئة في قيادة السيارة دون إدراك ودون شعور بالذنب. وهذا السبب مهم جدا، فالعادة هي الغالبة على أكثر الناس، وترك العادة أمر بسيط إذا علمت أنها مضرة أو مخالفة للشرع، واستشعر مخافة الله لأنك ترتكب ذنبا في مخالفتك، ولكن الكثير غفل عن هذا.

الفصل السابع

رأي الشرع في المخالفات المرورية





رأي الشرع في المخالفات المرورية

السيارة نعمة من نعم الله، فكم قضت من حاجة وكم أسعفت من مريض. وكم أغاثت من ملهوف. ناهيك عن الطاعات والقربات من السير إلى المساجد، أو حج وعمرة، أو بر الوالدين، أو صلة رحم، أو عيادة مريض، أو السعي للرزق، وكثير من الحاجات. فلا بد من شكر الله على هذه النعمة بالحفاظ عليها، واتخاذ الأسباب المؤدية لحمايتها واستخدامها فيما خصصت له.

ولقد أشار الله إلى نعمة وسائل النقل قبل ألف وأربعمائة سنة، فقال سبحانه في سورة النحل ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النحل].

لكننا في هذا الزمان رأينا كيف يحوّل بعض الناس هذه النعمة إلى نقمة تزهق الأرواح وتقتل الأبرياء وتبدد الأموال وتملأ المشافي مرضى ومقعدين.

وعدم شكر الله على النعم سبب للندم والزوال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣]. فالله أرحم بعبده من العبد بنفسه، وإذا غير العبد نعمة الله عليه غيرها الله عليه.

لا تغير نعمة الله (السيارة) بالمخالفات وإيذاء للناس، لا تغير نعمة الله عليك بالأمن والأمان، لا تغير نعمة الله عليك بالأخوة والإيمان، لا تغير نعمة الله عيك بالإضرار والضرر.

بين الإسلام كما وجدنا سابقًا أن المخالف آثم شرعًا إذا ما ارتكب مثل هذه المخالفات ولو لم يتسبب في حادث، وكما أن هناك ذنوبًا كبيرة وأخرى صغيرة، فإن هناك مخالفات كبيرة لا يجوز التهاون بها لما لها من نتائج قاتلة ومرعبة، وأخرى صغيرة لأن نتائجها أقل ضررًا من المخالفات الكبيرة، لكن أيضًا لا يجوز التهاون بها.

وللتقليل من الحوادث لا بد من الالتزام بتلك القوانين والأنظمة، وأن يستشعر الإنسان عظمة المسؤولية الملقاة عليه من حيث كونه مسؤولًا عن نفسه أولًا وعن الآخرين ثانيًا، وعدم الوقوع بالمخالفات.

وقد بين عدد من العلماء الأحكام الشرعية في كثير من المخالفات المرورية من بين هذه المخالفات:

أولًا: المخالفات الكبيرة:

المقصود بالمخالفات الكبيرة التي نتائجها ضررها كبير.

١- قطع الإشارة الضوئية:

هل يأثم من يقوم بقطع إشارة المرور عمدا مع تأكده التام بعدم وجود أضرار، وذلك على حد تصور السائق؟

سؤال عرض على كثير من علماء المسلمين المعاصرين، وقد أُجيب عليه فكانت الإجابات متشابهة على النحو التالي:

الإجابة:

نظام المرور أحد الأنظمة التي أصدرها ولي الأمر؛ تحقيقًا للمصلحة العامة وحماية للأرواح والممتلكات من عبث العابثين واستهتار المستهترين، والأنظمة التي يصدرها ولاة الأمر يجب تطبيقها والالتزام بها، ما لم تكن مخالفة للشرع. وقد نص نظام المرور الصادر عن ولي الأمر على منع قطع الإشارة الحمراء ورتب عقوبة على ذلك.

وبناءً على ما تقدم فإن تعمد قطع الإشارة أمر محرم يأثم فاعله؛ لأن المرتكب قد خالف ما أُمر به شرعًا، وعرض نفسه وغيره لخطر كبير، حيث قد ينشأ عن ذلك قتله لنفسه، أو قتله لغيره، أو إتلاف ماله أو مال غيره كما هو مشاهد في كثير من الحوادث، ويأثم قاطع الإشارة وإن كان متأكدًا من أنه لن يترتب على قطعه لها أي ضرر، وذلك للأمور التالية:

مخالفته لنظام المرور الذي يجب الالتزام به شرعًا على ما سبق بيانه.

- أن قطعه الإشارة يجعله قدوة سيئة للآخرين يتأسون به وينهجون نهجه، والمسلم مأمور أن يكون قدوة صالحة للآخرين يدل على الخير ويعين عليه.
- أن تصوره بعدم الضرر من قطعه الإشارة قد يكون تصوّرًا قاصرًا، كما أكدت ذلك كثير من الوقائع، وادعاء علم الغيب، فأكثر الذين حصلت لهم حوادث بسبب قطعهم الإشارة كانوا يعتقدون جازمين أنه لن يحصل لهم شيء، ويفاجأون بعكس ما تصوروا.

النتيجة: قطع إشارة المرور الحمراء مخالفة شرعية واضحة، مرتكبها آثم ومطبقها بالتوقف حتى تصبح خضراء مأجور.





الصورة /حادث سير بسبب قطع إشارة المرور

(حتما لم يتوقع السائق الذي قطع إشارة المرور وقوع هذا الحادث)

٢- السرعة الزائدة:

ومن الأضرار المنهي عنها السرعة الجنونية، فكم حصل بها من حوادث سببت قتل الأنفس والإعاقات الكثيرة وهدر الأموال.



حوادث مرور بسبب السرعة الزائدة

السرعة الزائدة المفرطة محرمة، لما يترتب عليها من حوادث ومخاطر، ولهذا شدد أهل العلم في شأنها، واعتبروا أن الزيادة على السرعة المحددة تعتبر تفريطا من السائق، فيضمن ما تلف بسبب ذلك من نفس أو مال، والقتل المترتب على ذلك يندرج تحت القتل الخطأ، تلزم فيه الدية والكفارة.. عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «التأني من الله، والعجلة من الشيطان»(١).

عندي ظروفٌ والوقت قصيرٌ أريد أن أقطعَ المسافةَ الطويلة في أقصرِ مدّةٍ ممكنة، هذه الحجج وهذا التصوّر الخاطئ يؤدي إلى كوارث خطيرة، افرِض أنّك إن تهوَّرتَ في قيادتك وأسرعت وتسببت في حادث مروري، فتحمَّلتَ مصائبَ على نفسك أو على غيركَ من إخوانك المسلمين، فقد تستغرق أيامًا وشهورًا لتستعيد وضعك الذي كان قبل الحادث، وما كنتَ تقطعُه في الساعةِ الواحدةِ أضِف إلى هذه الساعة دقائقَ تَسلَم بتوفيقٍ من الله من هذه البلايا،

لكن أن تزجَّ بنفسك وتسرِعَ سرعةً فائقة متجاوزة للحدود، فأيُّ جنايةٍ وقعت منك

---

(١) الراوي: أنس بن مالك المحدث: المنذري المصدر: الترغيب والترهيب الجزء أو الصفحة: (٢/٣٥٩) حكم المحدث: رجاله رجال الصحيح.

فأنت تتحمَّل تبِعاتها أمام الله جل وعلا؛ لأنك السببُ في حصولِ ما حصَل، فتبوء بالإثمِ والحساب من الله يومَ القيامة. وليعلم الذين يتعجَّلون أن خلْفَهُم نساءً وأطفالا هم بأشد الحاجة إليهم، وعليهم أن يفكروا في مصير أسرهِم وأولادهم خاصة إذا كانوا معهم في السيارة. ولينظُرُ هذا المتهور إلى أطفال هذا الذي أزهقتَ نفسَه وإلى أهله، وكم أضَعت، وكم أحزَنتَ، وكَم ارتكبتَ من إثم، فبالله عليك اتَّقِ الله في نفسك، وراقِبِ الله في سيرِك وفي قيادةِ سيّارتك وسيرِك في الطرُقات.

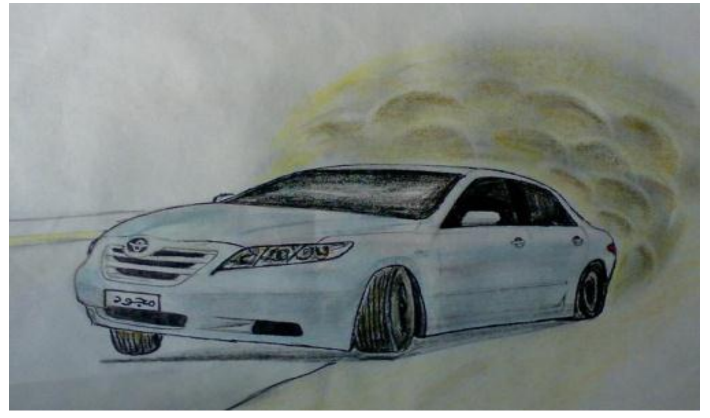
وتقدير السرعة لا يعتمد على السائق نفسه، بل يعود ذلك إلى تقدير ذوي الخبرة من ذوي المهنة.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: شخص توفي بسبب حادث سيارة من السرعة الزائدة، هل يقال: إن هذا باب من أبواب الانتحار؟

فأجاب: «لا، هذا ليس بانتحار، لكنه قتل نفسه خطأ، إذا كانت السرعة هذه هي سبب الحادث فقد قتل نفسه خطأً، لأنه لو سُئل هل أنت أسرعت لتموت؟ لقال: لا، فهذا ليس بمنتحر، ولكن يقال: إنه قتل نفسه خطأ. وقتل النفس ولو خطأ وزر كبير.

{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾} [النساء].

٣- التفحيط: وهو الطامة الكبرى في الحوادث:





«التفحيط أو التفحيص أو التشحيط أو الخبات أو التمتيع أو الهجولة»، أسماء كثيرة منتشرة، وجميعها كلمات عامية لا جذر لها في اللغة العربية الفصحى، وكلها تؤدي نفس المعنى، وهي مجموعة حركات يقوم بها المفحط بالسيارة، لجعلها تنزلق، بأن يكون اتجاه العجلة الأمامية مخالفا للاتجاه الفعلي الذي تسير فيه السيارة (لليمين والسيارة تتجه إلى اليسار والعكس صحيح)، وفي كثير من الأحيان يفقد السائق السيطرة على السيارة. ومما يجب ذكره أنها مخالفة صريحة لقواعد السلامة المرورية.

وإذا تحدثنا عن ظاهرة التفحيط والتهور بالسيارة، فإننا نتحدث عن ظاهرة مرعبة ثبت وبالدليل القاطع والتجربة الحثية أن التفحيط يؤدي إلى إيذاء المسلمين وإزهاق الأرواح وهدر الأموال، وأن المفحط آثم وعليه وزر، وهو قاتل إذا تسبب في حادث أدى إلى وفاة؛ لأنه ومن التجربة والعلم أن كثيرًا من حوادث التفحيط أدت إلى قتل الأنفس.

لكنها عند بعض الشباب مجرد لعبة يتسلون بها كمن يلعب بالسلاح وهو محشو بالذخيرة ويقتل الناس ويظن أنه يتسلى، وهذا في حد ذاته تفكير هابط وقصور في التربية والتوجيه وعدم إدراك للنتائج.

المفحط آثم شرعًا، وعليه عقاب دينيًا ودنيويًا. فالتفحيط محرم، ومن يقم به فقد يندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ

ﭐحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب].

وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إن الله كره لكم ثلاثًا»[1]، وذكر منها «إضاعة المال».

وقد أفتى علماء المسلمين في هذا العصر بحرمة التفحيط، فقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء:

التفحيط محرم للأسباب التالية:

١- الضرر على النفس وعلى الآخرين: لأنها ممارسة خطيرة على السائق والسيارة وعلى من حوله، فقد يفقد حياته، وقد يهلك الحاضرين، وقد يصاب بإصابات شديدة كالشلل وتقطيع الأطراف، وقد حصل من ذلك شيء كثير، ومراكز التأهيل مليئة بالإعاقات، والمقابر بالأموات بسبب التفحيط.

٢- إتلاف وهدر للمال: فهو إتلاف للسيارات وتدمير لها وتبذير للمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء].

وتلال من حطام السيارات يشهد على أن التفحيط هدر للمال.

ويحرم على الآخرين الحضور على سبيل الاستمتاع والتلذذ بمطالعته، لأن فيه إقرارًا لهم على هذه الأضرار، والراضي كالفاعل، ولا بد ممن حضر إنكار ذلك ولو بقلبه.

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (١٧١٥)، حكم المحدث: صحيح.



٤-استخدام المحمول (الجوال، الخليوي) أثناء قيادة السيارة:



على وشك وقوع حادث

أثناء قيادة السيارة هناك مهام كثيرة ملقاة على عاتق السائق لا بد من إتمامها لكي يصل إلى هدفه، وإذا تحدث السائق عبر الهاتف في نفس الوقت الذي يقود فيه السيارة، فإنَّ المجهود لتحقيق المهام يزداد، وهذا يؤدي لزيادة العبء الذهني، ويحد من الاستعدادات التي ينبغي أن تكون حاضرة عند القيادة في الطريق، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة احتمال وقوع حادث السير وانتفاء السلامة المرورية.





استخدام الجوال أثناء القيادة من الأسباب المؤدية لوقوع الحوادث ومن ثم الضرر للنفس والغير وهدر المال، وهذا منهي عنه شرعًا.

ثانيا: مخالفات صغيرة

ومن المخالفات التي نتائجها أقل ضررًا وأطلقنا عليها عبارة مخالفات صغيرة:

١- عدم ربط حزام الأمان:

ربط حزام الأمان، فيه ضبط للحوادث، وفيه أمان عند حدوثها، حسب أولي الرأي والخبراء في هذا المجال، وأيضًا كما ثبت بالتجربة، فربط حزام الأمان من الأخذ بالأسباب، الله أمرنا بالأخذ بالأسباب النافعة، فهذا منها، ولاسيما إذا أمر به ولي الأمر، فإنه يحفظ من ناحيتين، من ناحية طاعة الأمر، والناحية الثانية أخذٌ بالأسباب النافعة، فربطه واجب، وأوجب على الطرقات السريعة.

١- التلغيمة (فتح السدة) وهي إصدار الأصوات المزعجة من السيارة عبر «الشكمان» مما يؤذي الآخرين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

٢- وهناك من يذهب يمنة ويسرة يتخطى كل السيارات التي أمامه وخطوط السير المستقيمة (ما يسمى الزقزاق)، ويزحمهم في أوج زحمة السيارات، وهذا من الفوضى التي هي أحد أسباب الحوادث، فلا يجوز الإقدام عليها.

٣- هناك من يعتمد على مهارته في قيادة السيارة، فعليه ألّا يغتر بهذه المهارة، فإن كثيرًا ما يكون هؤلاء الذين يدعون المهارة هم الذين يكونون الضحية لغرورهم.

٤- تجاوز الرتل المتوقف عند الانعطاف الكلي (يوتيرن) مما يسبب عرقلة سير للطريق وللرتل المنتظر، وينظر الناس إليه باشمئزاز، وهو لا يبالي، وكأن شيئًا لم يحدث، بل أكثر من ذلك يظن أنه قد حقق انتصارًا بذلك عليهم، وكأنه مستثنى من الانتظار.

٥- الدخول إلى الدوار بطريقة خاطئة، كأن يدخل بسرعة دون التريث أو التوقف أو أن يكون في حارة وعندما يدخل الدوار يدخل إلى حارة أخرى.

٦- الخروج بشكل مفاجئ من طريق ضيق إلى طريق رئيسي بسرعة مسببًا إرباكًا للسيارات التي تسير على الطريق الرئيسي، وقد يتسبب في حادث سير، فواجب عليه الوقوف قبل الخروج للطريق، والتأكد من خلو السيارات ومن ثم متابعة سيره بالانعطاف إلى اليمين مباشرة.

٧- الوقوف على خط المشاة عند إشارة المرور بعد الخط المخصص لذلك، والذي يؤدي في كثير من الأحيان لعدم رؤية إشارة المرور وعرقلة السير خلفه والتضييق على المشاة.



صواب



خطأ

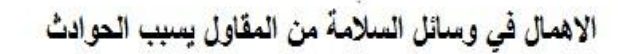
٨- عدم ترك مسافة أمان بينك وبين السيارة التي تسير أمامك:

٩- التعتيم (التظليل) بنسبة عالية، وهو عدم وضوح الرؤية بالنسبة لقائد المركبة لما يوجد حوله مما يؤدي إلى وقوع الكثير من الحوادث المرورية.

١١- استهتار المقاولين في وضع لوحات السلامة المرورية في مناطق العمل في الشوارع والطرقات قد يتسبب في حادث سير أو عرقلة أو غير ذلك، وكله كما وجدنا سابقا ينهى عنه الشرع، فالواجب على المقاول الذي يعمل في الطرقات (المقاول هو صاحب العمل والمهندسون والمراقبون والعمال كل حسب اختصاصه) الالتزام بتطبيق الإرشادات الفنية الصادرة عن المرور والأمانات والبلديات التي تنظم حركة المرور بمناطق العمل لضبط وتنظيم حركة السيارات والمرور.. ومن المخالفات التي يقوم بها المقاولون:

- عدم الالتزام بتصاريح العمل الصادرة عن الجهات الرسمية.
- عدم وضع وسائل السلامة المرورية لحماية المارة (السيفتي) أو عدم كفاءتها أو عدم تناسبها مع حجم وطبيعة العمل الذي يقوم به المقاول.

- عدم إعادة الموقع كما كان عليه قبل العمل (ترك حفر، عدم سفلتة، ترك الأرصفة غير جاهزة...).
- عدم إزالة مخلفات العمل.







كما أن المقاول ومسؤول البلدية والمشرف الذي يعمل في الطريق ولا يضع إرشادات السلامة والأمان (السيفتي) مسؤول شرعًا، ناهيك عن المسؤولية الدنيوية على أي حادث يحصل.

المسؤولون من البلديات عن مراقبة المقاول يجب عليهم عدم التساهل في تطبيق تعليمات السلامة المرورية لمسؤوليتهم الوظيفية ومسؤوليتهم الأخلاقية والدينية.

ملاحظة:

من الجدير بالذكر أن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن «منظمة التعاون الإسلامي»، أصدر فتوى بتحريم قطع الإشارة الحمراء، والسرعة المفرطة في القيادة، إضافة إلى التفحيط والمطاردات غير المشروعة، والإهمال في صيانة أو قيادة المركبة الذي قد ينشأ بسببه ضرر لقائد المركبة. وأكد قرار المجمع أنه إذا ترتبت على هذه التصرفات جناية على النفس أو ما دونها فإن قائد المركبة يتحمل المسؤولية الجنائية عمدًا أو شبه عمد، أو خطأ بحسب الحالة، ولولي الأمر تعزيره بما يراه من عقوبة مناسبة. والنتيجة أن أي مخالفة مرورية سواء كانت كبيرة أو صغيرة لا تجوز شرعًا، ومرتكبها آثم، سواء تسببت في حادث مروري أو لم تتسبب بإجماع علماء المسلمين.



الفصل الثامن

الوصايا الشرعية في السلامة المرورية





الوصايا الشرعية في السلامة المرورية

كل منا تعرض لمواقف عديدة وهو يقود سيارته أو حتى يمشي في الطريق للحظة كاد يقع هو أو من حوله لحادثة حتمية ومفجعة، ولكن في اللحظة الأخيرة ينجيه اللّه منها، ويتيقن حينها أن اللطف الإلهي قد تدخل لإنقاذه.

من هنا لا بد لنا أن نتوجه إلى اللّه في كل أمورنا، والأحرى في سيرنا على الطرقات، فأنت في الطريق تسير بعناية اللّه، وأحوج ما تكون للطف الإلهي، حيث المفاجآت التي لا تستطيع تجنبها مهما بلغت من الخبرة والحيطة واليقظة إلا بلطف من اللّه عز وجل.

كل الاحتياطات والإجراءات التي قد تقوم بها ربما لا تفيد شيئًا، الذي يحفظك هو اللّه تعالى، ولكن واجب عليك اتخاذ الأسباب قبل ذلك، كما تبين لنا سابقا.

اللّه تعالى يهيئ لك الظروف المناسبة، ويلهمك التصرف الصحيح الذي يضمن الحفاظ على حياتك ومالك وحياة غيرك وماله.

إذًا، واجب على المسلم الأخذ بالأسباب كأنها كل شيء، ومن ثم يتناسى هذه الأسباب في قرارة نفسه ويتوجه إلى اللّه ليحفظه من كل مكروه، لأن الأمر بيد اللّه وحده، وهذا هو حق التوكل على اللّه.

الحافظ هو اللّه: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يوسف].

لذا لا بد لنا من الانصياع الكامل لأوامره ونواهيه والتوكل عليه، فإذا نزل البلاء حفظنا اللّه منه بتوكلنا عليه بعد الأخذ بالأسباب.

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا يَحْمِي الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ»(١).

---

(١) الراوي: حذيفة بن اليمان، المحدث: الألباني، المصدر: ضعيف الجامع، الجزء أو الصفحة: =

وهذه بعض الإرشادات الشرعية الواردة في النصوص الشرعية والتي فيها- بإذن الله- حماية الله وتنزُّل رحماته وحفظه من حوادث المرور لحفظ النفس والمال:

وسنورد هذه النصائح المخصصة لموضوع السلامة المرورية:

١- طاعة ولي الأمر بتطبيق قوانين المرور والسلامة المرورية:

وُضِعت قوانين السلامة المرورية للحفاظ على حياة الإنسان وحفظ أمواله، وهي الوسيلة الآمنة لقيادة السيارات والسير على الطرقات، ولضمان سلامة الأشخاص من الحوادث التي تسبب الإصابة أو الإعاقة أو الموت في الكثير من الأحيان.

وتطبيق قوانين السلامة المرورية واجب شرعي كونه من طاعة ولي الأمر في السلامة المرورية (المتمثلة في تطبيق قوانين المرور والسلامة المرورية واللوحات الإرشادية ورجال المرور)، وطاعة ولي الأمر وتطبيق أوامره في المعروف واجبة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، لأن فيها مصلحة للمسلمين، ولأنها من مفاهيم الشرع، ولما في ذلك من حفظ النفس والمال، وهو من مقاصد الشريعة الإسلامية.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وفي الحديث عن طاعة ولي الأمر، عن عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «السمعُ والطاعةُ على المرءِ المسلمِ فيما أحبَّ وكرهَ، ما لم يُؤمَرْ بمعصيةٍ، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة»(١).

= (١٧٢٩)، حكم المحدث: ضعيف.

(١) الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٧١٤٤)، حكم المحدث: صحيح.

فوجوب طاعة ولي أمر المسلمين في السلامة المرورية عقيدة دينية يدين بها المسلم لربه، فإن أمره ولي الأمر بفعل وجب عليه تنفيذه، وإن نهاه عن فعل شيء وجب الانتهاء عنه، فطاعتهم فيها مصلحة الدين والدنيا، ومخالفتهم فيها فساد الدين والدنيا، فولي الأمر هو الضامن لتنفيذ قوانين السلامة المرورية وهو ستر وحجاب، ونعمة على المجتمع الإسلامي يقودهم لحماية الأنفس والأموال، ويولي من هو أهل للولاية على مصالح المسلمين في طرقاتهم، ويحمي سبل المسلمين (طرقاتهم) ممن يحاول قطع الطريق والتعرض للمسلمين، أو يأخذ أموالهم، أو يقتلهم، ومن يتسبب في الحوادث المؤذية لهم، ويعاقب كل من يريد الإخلال بذلك.

فواجب على كل مسلم طاعة ولي الأمر من خلال المؤسسات الحكومية والعاملين عليها لتنفيذ تعليمات وأنظمة المرور والسلامة المرورية، وهي من المعروف وحفظ النفس والمال وما أجمع عليه علماء المسلمين.

وطاعة ولي الأمر ليست مجرد طاعة علانية مؤقتة أثناء مراقبته واطلاعه من خلال نظام مراقبته فقط، بل يجب أن يطاع في السر والعلن، لأن من أوجب طاعته هو الله الذي يعلم الغيب والشهادة، فلا يجوز مخالفة نظام المرور والسلامة المرورية إن لم يكن هناك مراقبة من قبل ولي الأمر، بل الواجب الالتزام بقوانين المرور بشكل مطلق سرًا وعلانية.

٢- الابتعاد عن الغضب في الطرقات (ماشيًا أو راكبًا أو سائقًا):

من أعظم الأمور السيئة في السلامة المرورية التي تسبب الحوادث والويلات الاجتماعية ما يسمى (غضب الطريق) والذي يتسبب بالحوادث في كثير من الأحيان.

هناك ما يسمى (علم نفس السياقة)، وضع هذا العلم لمواجهة التطورات والملاحظات العلمية المتلاحقة في هذا الجزء الهام من حياتنا اليومية، وتبين أن السائقين الغاضبين يشكلون خطرًا على السلامة المرورية أكثر من غيرهم، وهم في

الحقيقة يعانون حالات نفسية مرضية أثناء الغضب، ويغامرون أكثر على الطريق بممارسات خطرة (سرعة جنونية ، حركات بهلوانية خطرة)، وقد يتصرفون بعدوانية، وقد يكون لديهم سجل حافل من حوادث السيارات بمعدل أكبر عن بقية السائقين الذين لا يغضبون.

إن إثارة غضب السائق قد تؤثر بالسلب على قيادته، وتزيد من مخاطر تعرضه لحوادث الطرق، فالواجب ألا نغضب ولا نُغضِب الآخرين أيضًا.

والأشخاص الذين يتجاوزون السرعات ويقومون بالمناورات أثناء القيادة هم الأكثر استفزازًا للآخرين على الطرق، بحسب دراسة أجراها خبراء من مركز الصحة (CAMH) بجامعة تورونتو في كندا.

فلا بد أن ننتبه لما يسمى «غضب الطريق»، وأن نسعى لتجنبه من خلال الحفاظ على الهدوء وتجنب القيادة بطريقة خطرة، سواء كنا أصحاب هذا النوع من القيادة المتهورة أو كنا شهودًا عليها لتجنب السقوط فيها، وعدم القيام بتصرفات وسلوكيات انتقامية أثناء القيادة أي لا نقابل الخطأ بالخطأ.

(غضب الطريق):

في كثير من الأحيان غضب الطريق يوصل السائق إلى نطاق خارج سيطرته كما تؤكد الدراسات والواقع ، في الحقيقة إن معظم السائقين حادي المزاج يقومون بكسر القواعد المرورية وارتكاب عمل طائش أحمق. الذين ينزلون من مركباتهم ليوجهوا لكمات حادة لصاحب السيارة بجوارهم، أو يقومون فجأة بإزعاج وسب الجميع وإصدار أقصى صوت التنبيه المزعج أينما وجدوا سيارة أمامهم أو في حال بعض الحوادث الحزينة عندما يفقد السائق حاد المزاج عقله ويقوم بصدم السيارات المحيطة عن عمد.

ولكن فإن ثمة اختلافات فردية كثيرة، وعوامل شخصية متباينة، في مثل تلك المواقف، لا بد من تزامنها مع عوامل بيئية لحدوث مثل تلك الصور البائسة، التي تمثل أقصى أمثلة غضب الطريق.

ومثال ذلك نجد أن أكثر حالة مرورية قد تثير في نفس السائقين الغاضبين حالة من العدوانية وجنون السياقة هي الانتظار مدة طويلة في سيارة مع بقية السيارات في خطوط طويلة مملة.

لحسن الحظ فقد وجد الأخصائيون أن العلاج النفسي بالمعرفة وبالاسترخاء قادرعلى كبح جماح السائقين الغاضبين بمعدلات نجاح جيدة، المهم أن تتوافر لدى ذاك السائق المتقد عدوانية القناعة لطلب مثل هذا العلاج قبل أن تنتهي حياته بمأساة بسبب سياقته الطائشة، أو لغضبه المكنون الذي هو على وشك الانفجار.

ولكن نحن المسلمين يجب أن نكون مميزين عن غيرنا في هذا المجال، لأن هناك علاجًا دينيًا وروحانيًا لهذه الظاهرة في شريعتنا الإسلامية:

فقد أولت الشريعة الإسلامية سلوك الغضب اهتمامًا كبيرًا وذكرًا واسعًا لهذا الخلق الذميم في كثير من النصوص الشرعية:

قال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»(١)

أتى رجل إلى النبي ﷺ فأوجز في السؤال فقال: أوصني ، فقال ﷺ: «لا تغضب»، فردد مرارًا فقال: ﷺ: «لا تغضب»(٢)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧].

---

(١) الراوي: عائشة أم المؤمنين، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الجزء أو الصفحة: (٢٥٩٣) المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٧٩٢١)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٦١١٦)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (٢٠٢٠)، حكم المحدث: صحيح.

وقال أيضًا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران].

ولأولئك السائقين الذين ترطب أفواههم غير الزكية أكيال من الشتائم لإخوانهم المسلمين وغيرهم ، فقد أخبر ﷺ أن المسلم لا يكون لعانا: «سِبابُ المسلِمِ فُسوقٌ، وقتالُهُ كُفرٌ»(١).

فالغضب نزغة من نزغات الشيطان، يقع بسببه من السيئات والمصائب ما لا يعلمه إلا الله، الغضب أمر من طبيعة النفس يتفاوت فيه الناس، وقد يكون من العسير على المرء ألّا يغضب، لكن ورد في السنة النبوية علاجات للتخلص من هذا الداء والحدّ من آثاره، فمن ذلك:

١- الاستعاذة بالله من الشيطان: عن سليمان بن صرد قال: كنتُ جالسًا معَ النبيِّ ﷺ ورجلانِ يَستَبَّانِ، فأحدُهما احمَرَّ وجهُه وانتفخَتْ أوداجُه، فقال النبيُّ ﷺ: «إني لأَعلَمُ كلمةً لو قالها ذهَب عنه ما يَجِدُ، لو قال: أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ، ذهَب عنه ما يَجِدُ. فقالوا له: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: تعوَّذْ باللهِ منَ الشيطانِ. فقال: وهل بي جُنونٌ؟»(٢).

٢- السكوت: قال رسول الله ﷺ: «إذا غَضِبَ أحدُكم فلْيسكتْ»(٣).

---

(١) الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٦٠٤٤)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: سليمان بن صرد، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٣٢٨٢)، حكم المحدث: صحيح، وقال ﷺ: «إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله، سكن غضبه صحيح الجامع».

(٣) الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: =

وذلك أن الغضبان يخرج عن طوره وشعوره غالبًا، فيتلفظ بكلمات قد يكون فيها كفر والعياذ بالله أو لعن أو طلاق يهدم بيته، أو سب وشتم يجلب له عداوة الآخرين. فبالجملة: السكوت هو الحل لتلافي كل ذلك.

٣- تغيير الحالة: قال رسول الله ﷺ: «إذا غضبَ أحدُكم وهو قائمٌ فلْيجلسْ، فإن ذهبَ عنه الغضبُ وإلاَّ فلْيَضْطَجِعْ»(١). أي يغير حالته.

وهنا ننصح إذا غضب السائق وهو يقود سيارته فليقف على جانب الطريق، ولينتظر لحظات ثم يعاود السير.

٤- معرفة أن رد الغضب من علامات الإيمان (ردع النفس عن الغضب): وهؤلاء الذين مدحهم الله في كتابه، وأثنى عليهم رسوله ﷺ وأعدت لهم جنات عرضها السماوات والأرض، ومن حسن أخلاقهم وجميل صفاتهم وأفعالهم، ما تشرئبّ الأعناق وتتطلع النفوس للحاق بهم، ومن أخلاقهم أنهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ [الشورى].

٣- اكظم غيظك:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران]

كظمك لغيظك عند التعرض لأي استفزاز أو فعل سيئ من أحد في الطريق ربما أبعد بلاءً كبيرًا.

هناك فرق بين الغيظ والغضب وكثيرًا ما يتلازمان، لذلك فسر بعض العلماء الغيظ بالغضب والأمر ليس كذلك، الغَيْظ: فعل النفس لا يظهر على الجوارح. والغَضَبُ: ما ظهر على الجوارح من ردة فعل على حال ما، إن كتم الغيظ يمنع وصول النفس إلى

= (٦٩٣)، حكم المحدث: صحيح الألباني المصدر: صحيح الأدب المفرد، الجزء أو الصفحة: (١٨٤).

(١) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الجزء أو الصفحة: (٤٧٨٢)، حكم المحدث: صحيح.

الغضب الذي يعد مشكلة كبيرة جدًا وسببًا رئيسيًا في حوادث المرور وأحداث العنف على الطريق.

إن تذكر ما أعد الله لكاظمي الغيظ ليتجنبوا أسباب الغضب ويجاهدوا أنفسهم في كبته ورده، لهو من أعظم ما يعين على إطفاء نار الغضب، ومما ورد من الأجر العظيم في ذلك قوله ﷺ: «ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة»(١)

وأجر عظيم آخر في قوله عليه الصلاة والسلام: «مَن كَظَمَ غيظًا وهو قادرٌ على أن يَنْفِذَه دعاه اللهُ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرُه اللهُ مِن الحُورِ ما شاءَ»(٢).

فكلما انفعلت النفس واشتد الأمر كان كظم الغيظ أعلى في الرتبة عند الله. فاكظم غيظك لكي لا تغضب.

٤- حسن الخلق وتقوى الله عند قيادة السيارة:

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(٣).

التقوى سبب للتيسير والخروج من الشدة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق].

---

(١) الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الضعيفة ، الصفحة أو الرقم: (٤٦٤٧).

(٢) الراوي: معاذ بن أنس الجهني، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الجزء أو الصفحة: (٤٧٧٧)، حكم المحدث: حسن.

(٣) المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: الأمالي المطلقة، الجزء أو الصفحة: (١٣١)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (٣١٦٠) حكم المحدث: حسن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»(١).

تقوى اللّه وحسن الخلق أهم سلوكين لتخفيف الحوادث، أن تراقب اللّه في قيادتك، وأن تعامل الناس بخلق حسن في طرقاتهم، وإذا أخطأت فاطلب المسامحة واستغفر اللّه.

وروى الترمذي عن عبداللَّه بن المباركِ $، في تَفْسير حُسْنِ الخُلُقِ قال: «هُوَ طَلاقَةُ الوجه. وبذلُ المَعرُوف، وكَفُّ الأذى»(٢).

إذًا، كن متبسمًا دائمًا في الطريق، وكف الأذى عن الناس أثناء قيادتك، واصنع معروفًا في الطريق دائمًا في التجاوز عن أخطاء الآخرين أو إيثارهم في المرور أو احترام صغير أو كبير يعبر الشارع أو سائق أمامك مرتبك فلا تربكه أكثر بالسير وراءه قاصداً إزعاجه أو بمنبه سيارتك، وإذا كان لا بد من التنبيه فليكن بطريقة حضارية، وكثير من الأفعال التي تندرج تحت صنع المعروف تواجهك في الطريق فالتزم بها.

قال ﷺ: «إِنَّ الرجلَ لَيُدْرِكُ بحسنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قائِمِ الليلِ، صائِمِ النَّهارِ»(٣).

إذًا، نحن بحاجة ماسة إلى إسقاط مفهوم حسن الخلق الذي جاء به الإسلام على مفهوم السلامة المرورية في طرقاتنا وفي تطبيق قوانين المرور، نحن في عصر لا بد من

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (٢٠٠٤)، حكم المحدث: إسناده حسن.

(٢) الراوي: أبو رزين العقيلي لقيط بن عامر، المحدث: الألباني، المصدر: تخريج كتاب السنة، الجزء أو الصفحة: (٦٣٦)، حكم المحدث: إسناده ضعيف.

(٣) الراوي: عائشة أم المؤمنين، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الجزء أو الصفحة: (٧٩٥)، حكم المحدث: صحيح لغيره.

أن نفهم حسن الخلق فهمًا حضاريًا يتماشى مع حياتنا المعاصرة، ولا ننسى تقوى الله في كل شيء.

المؤمن الحق الصادق المتفهم لطبيعة الحياة المعاصرة يجب أن تجتاحه موجة إيمانية وتقوى الله وحسن خلق، وهو يقود سيارته أو يسير في الطريق، وللأمر أصول في ديننا وفي قرآننا وفي سنة نبينا كما وجدنا.

قَالَ الطِّيبِيُّ قَوْلُهُ: تَقْوَى اللَّهِ إشارة إلى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْخَالِقِ بِأَنْ يَأْتِيَ جَمِيعَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَيَنْتَهِيَ عَنْ مَا نَهَى عَنْهُ، وَحُسْنُ الْخَلْقِ إشارة إلى حُسْنِ الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْخَلْقِ، وَهَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ مُوجِبَتَانِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَنَقِيضُهُمَا لِدُخُولِ النَّارِ.

والمسلم مأمور بالكلمة الطيبة لتكون في ميزان حسناته، قال عليه الصلاة والسلام: «والكلمة الطيبة صدقة»[(١)].

بل وحتى التبسم الذي لا يكلف المسلم شيئًا، له بذلك أجر: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»[(٢)].

إن تقوى الله وحسن الخلق أثناء القيادة تجنبك كثيرًا من الويلات التي أنت في غنى عنها وتبعد عنك الضر والإضرار والهلاك.

٥- الإحسان عند قيادة السيارة:

قال النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[(٣)].

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (٢٩٨٩)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الأدب المفرد، الجزء أو الصفحة: (٦٨٤)، حكم المحدث: صحيح.

(٣) الراوي: شداد بن أوس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الجزء أو الصفحة: =

الإحسان يحيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقته بالبشرية بشكل عام، بل وعلاقته بالمخلوقات كلها، فكل قوانين التعامل ترجع إلى الإحسان ومن بينها قوانين السلامة المرورية.

الإحسان يأتي بعد الإسلام والإيمان. فهو يعني عبادة الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فقد ورد في السنة قوله ﷺ في تعريف الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

يقول الله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ} [البقرة: ١٩٥].

وقد ورد في القرآن قول الله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [النحل].

أي: إن الله يأمر عباده بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه، ويأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال، ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرِّهم، وينهى عن كل ما قَبُحَ قولًا أو عملًا وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم، والله- بهذا الأمر وهذا النهي- يَعِظكم ويذكِّركم العواقب؛ لكي تتذكروا أوامر الله وتنتفعوا بها.

وفي السلامة المرورية راقب نفسك في الالتزام بأنظمة المرور والسلامة المرورية لأن الله يراك، وأحسن إلى خلق الله، ولا تؤذِ المسلمين بمخالفاتك المرورية، ولا تتعدَ عليهم

= (٢٨١٥)، حكم المحدث: صحيح.

(١) الراوي: أبو ذر وأبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الجزء أو الصفحة: (٥٠٠٦)، حكم المحدث: صحيح.



بإهلاك الأنفس والمال، وهذا تحذير من الله من ترك الإحسان.

وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن]، أي: هل جزاء مَن أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بالجنة في الآخرة؟ أحسن الالتزام بالسلامة في الدنيا يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة.

٦- التوكل على الله عند قيادة السيارة:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران].

المتوكل على الله حقًا الذي أراد السفر أو القيادة في الحضر هو الذي يأخذ بالأسباب ويتفقد سيارته جزءًا جزءًا، ويتيقن أن جاهزيتها جيدة للسير على الطرقات بسلام وأمان، فالحرص على تفقد السيارة قبل ركوبها أو السفر بها من اتخاذ الأسباب المطلوبة شرعًا.

بعد أن يتخذ الأسباب كاملة، يتوجه إلى قلبه وينسى ذلك كله يقينًا، ويتوكل على الله، ويعلنها بينه وبين ربه أن كل تلك الأسباب عدمٌ لا تساوي شيئًا بدون حماية الله وحفظه وتوفيقه.

هذا هو حق التوكل على الله، فلا يكون المسلم متواكلًا بحتًا، ولا ماديًا بحتًا يعتمد على الأسباب، وإنما متوكلًا على الله حق التوكل.

لذا، فإن حسن التوكل على الله هو الأخذ بالأسباب، فالتوكل على الله والاعتماد عليه من شُعب الإيمان، ولكنه لا ينافي الأخذ بالأسباب، فإن الله سبحانه، ، لم يأمر بالتوكل إلا بعد التحرز والأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران]. هنا نرى أنه حتى النبي ﷺ أُمر الله بمشاورة المسلمين ومن ثم التوكل على الله.

وورد أن أحدهم سأل النبي ﷺ: قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ أعقِلُها وأتوكَّلُ أم أُطلقُها

وأتوكَّلُ قال: «اعقِلها وتوكَّلْ»(١).

عندما تركب سيارتك أو تخرج من بيتك (بعد الأخذ بالأسباب)، فإن من توكل على الله كفاه، قال رسول الله ﷺ: «مَن قالَ إذا خرجَ من بيتِه: بِسمِ اللَّهِ، توَكَّلتُ على اللَّهِ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ يقالُ لهُ هُديتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ، فيتنَحَّى عنهُ الشَّيطانُ، ويقولُ شيطانٌ آخرُ: كيفَ لَكَ برجُلٍ هديَ وَكُفيَ ووقيَ؟!»(٢).

إذًا، الأخذ بالأسباب أولًا، ثم التوكل على الله حق التوكل، حماية لك من كل أذى أو مكروه بإذن الله تعالى.

٧- المحافظة على دعاء ركوب السيارة (في السفر والحضر):

دعاء ركوب السيارة في الحضر والسفر من السنن المطلوبة والتي حث عليها الشرع؛ لاشتماله على تكبير وتسبيح وأدعية واستغفار، وفيه خير كثير غفل عنه كثير من المسلمين:

عن علي بن ربيعة ، قال: «شهدتُ عليًّا أُتيَ بدابَّةٍ ليركبَها، فلمَّا وضعَ رجلَهُ في الرِّكابِ قالَ: بسمِ اللَّه ثلاثًا، فلمَّا استوى على ظهرِها قالَ: الحمدُ للَّه، ثمَّ قالَ: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾} ثمَّ قالَ: الحمدُ للَّه ثلاثًا، اللَّهُ أكبر ثلاثًا، سبحانكَ إنِّي قد ظلمتُ نفسِي فاغفر لي فإنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنت، ثمَّ ضحِك. قلتُ: من أي شيءٍ ضحِكتَ يا أميرَ المؤمنينَ؟ قالَ: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (٢٥١٧)، حكم المحدث: حسن.

(٢) الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: تخريج مشكاة المصابيح، الجزء أو الصفحة: (٢٣٧٧)، حكم المحدث: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

صنعَ كما صنعتُ، ثمَّ ضحِكَ. فقلتُ من أي شيءٍ ضحِكتَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «إنَّ ربَّكَ ليعجبُ من عبدِهِ إذا قالَ ربِّ اغفر لي ذنوبي إنَّهُ لا يغفرُ الذُّنوبَ غيرُكَ»[1]

وعن عبدالله بن عُمَرَ رضي الله عنه، أنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ إذا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إلى سَفَرٍ، كَبّرَ ثَلاَثًا، ثُمّ قَالَ: «﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾، اللّهُمّ إنّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرّ وَالتّقْوَىَ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللّهُمّ هَوّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنّا بُعْدَهُ، اللّهُمّ أَنْتَ الصّاحِبُ فِي السّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي الْمَالِ وَالأَهْلِ»، وإذا رَجَعَ قَالَهُنّ، وَزَادَ فِيهِنّ: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبّنَا حَامِدُونَ»[2].

هذا الحديث فيه فوائد عظيمة تتعلق بحياتنا اليومية في ركوب السيارات.

يُعَلِّمنا رسول الله ﷺ أن نذكر اللهَ تعالى في كل أحوالنا، ومن ذلك أنه كان يذكره عند ركوبه الدابَّة، سواء في الحَضَر أم السفر، فحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيه ذكر دعاء ركوب الدابة في الحضَر، وحديث عبدالله بن عمر فيه ذكر دعاء ركوب الدابة في السفر، وكلاهما يشتركان فيما ورد في الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣﴾ [الزخرف].

مع اختصاص دعاء السفر بطلب التخفيف والتهوين مما يرافق السفر عادة من

---

(١) الراوي: علي بن أبي طالب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (٣٤٤٦)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: (١٣٤٢) خلاصة حكم المحدث: صحيح.

عناء ومشقة، واختصاص دعاء الحَضَر بطلب المغفرة من اللّه جل وعلا.

ما أعظم هذه السُّنَّة وما أسهلها، وما أجمل أن نحافظ عليها عند ركوبنا وسائل الانتقال.

فلنحرص على إحياء هذه السُّنَّة المباركة، بتطبيقها وتعليمها لأبنائنا، وحث الناس عليها، حتى يحفظنا اللّه تعالى في حِلِّنا وارتحالنا، وحتى ننال أجر إحياء سنة من سنن نبينا المصطفى ﷺ.

وقد اشتملت هذه الأدعية على طلب مصالح الدين والدنيا معا، ودفع المكاره والمضار، وعلى شكر نعم اللّه، والتذكر لآلائه وكرمه، واشتمال السفر على طاعة اللّه، وما يقرب إليه.

{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾} [الأنفال].

هناك من قال في شرح (وَأَنْتَ فِيهِمْ) أي سنتك تطبق فيهم، فلا يعذبهم اللّه إن طبقوا سنتك أو وهم يستغفرون، واللّه أعلم.

٨- الابتعاد عن المحرمات حال القيادة:

لأن الإنسان وهو يقود سيارته على الطرقات يجب عليه الحذر لأنه في خطر، وهو يسير بحفظ اللّه ورعايته، فالواجب عدم معصية اللّه في هذه الحالة وكل حال، لأن هذه المعاصي تُبعد عنه حفظ اللّه، بل إنها تقرب منه عقاب اللّه؛ لقوله تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ} [العنكبوت]. فليكن رفيقك في السيارة القرآن الكريم وجميل القول والذكر الحسن من غيرِ دندنةٍ غنائية، أو رقصةٍ غيرِ رجولية، أو شرب خمر أو حبوب محرمة أو شرب الدخان، وما إلى ذلك من المحرمات؛ حتى يُبارِكَ اللّه تعالى في أوقاتِك ويحفظك من كل مكروه.

٩- المحافظة على صلاة الفجر في جماعة:

وبعد ظلام الليل الحالك يتنفس الصبح معلنا يوما جديدا وفي هذا الوقت البديع المبارك يدوّي في سماء الكون النداء الخالد، نداء الأذان لصلاة الفجر، فتهتف الأرض كلها: اللّه أكبر اللّه أكبر، الصلاة خير من النوم. وتكون صلاة الفجر فاتحة اليوم في حياة المسلم، لكأنما يعلّم الإسلام أهله أن يبدؤوا كل أمر بطاعة اللّه والإقبال عليه والإنابة إليه، وكأنما هي شكر للّه على نعمة الإصباح بعد الإظلام.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح»[1].

يقول أبو هريرة: «اقرؤوا إن شئتم». ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء].

وهكذا تكون صلاة الفجر مجتمعًا للملائكة، ومحفلًا من محافل الخير والطاعة والعبادة، لا يحضره إلا كل طاهر مطهر من الأبرار، يستحق أن يكون في ضيافة الرحمن، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من توضأ ثم أتى المسجد فصلى ركعتين قبل الفجر ثم جلس حتى يصلي الفجر كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار، وكتب في وفد الرحمن»[2].

وما أعظم أن تبدأ نهارك وأنت في ضيافة ووفد الرحمن، فيحفظك من كل مكروه،

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٤٢١٦)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أبو أمامة الباهلي، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الجزء أو الصفحة: (٤٤/٢)، حكم المحدث: فيه القاسم أبو عبدالرحمن وهو مختلف في الاحتجاج به.

قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى الصُّبحَ في جماعةٍ فهوَ في ذمَّةِ اللَّه»[١].

قال القرطبي في المفهم: وقوله: من صلّى الصبح فهو في ذمّة الله أي: في أمان الله، وفي جواره؛ أي: قد استجار بالله تعالى، والله تعالى قد أجاره. وليس هناك على الإطلاق أفضل من أمن وحفظ وجوار الله عز وجل.

فحافظ على صلاةِ الفجر في الجماعة؛ لأنها أمان لك عندما تقود سيارتك، وأمان لك من أهوال الطريق، وسببٌ لرضا الله عنك حيثما كنت واينما تحركت. ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف].

١٠- المحافظة على صلاة الضحى:

لأن الله يحفظ من أداها طوال النهار، قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا ابنَ آدمَ لا تُعجِزني من أربع ركَعاتٍ من أوَّلِ النَّهارِ أكفِك آخرَهُ»[٢].

قال الإمام النووي: أقلها ركعتان، وأكملها ثمان، وأوسطها أربع أو سِت. فحافظ عليها يحفظك الله.

١١- تعظيم حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم:

إن الله تعالى حرم دماء المسلمين، وأعراضهم، وأموالهم، وحرم دماء المعاهدين، والذميين، والمستأمنين من الكفار وأعراضهم أيضًا وأموالهم.

قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأوّلُ ما يقضى بين الناس في الدماء»[٣].

---

(١) الراوي: نفيع بن الحارث الثقفي أبو بكرة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الجزء أو الصفحة: (٢/٤٤)، حكم المحدث: رجاله رجال الصحيح.

(٢) الراوي: أبو الدرداء وأبو ذر، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (٦٧٢)، حكم المحدث: حسن صحيح.

(٣) الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الجزء أو الصفحة: =

وعن ابن عباس ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ ومما قال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[1].

ومن يتأمل هذه الأحاديث العظيمة والتأكيدات المتكررة من نبينا ﷺ في حجة الوداع على هذا الأمر العظيم والمطلب الجسيم يدرك عِظم الخطْب وجسامته، وأن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمةٌ محترمة، لا يجوز انتهاكها ولا التعدي عليها بأي نوعٍ من التعدي ومن التعدي حوادث المرور.

و من ينظر إلى واقعنا اليوم يجد استخفافًا عظيمًا واستهانة بالغة عند قيادة السيارات بدماء وأموال وأعراض المسلمين في الطرقات، من غير مخافة من اللّه ولا مراقبةٍ له سبحانه وتعالى، ومن غير استشعار للمنقلَب والوقوف بين يدي اللّه.

{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾} [الشعراء].

وأنت حين تخالف أنظمة السلامة المرورية، وتتسبب في حادث سير، وتقتل فيه أحدًا، أو تهلك سيارته، فقد استحللت دمه وماله، ربما عن غير قصد، وكان الأولى بك ألّا تخالف وتستحل دمه وماله.

والأولى بالشباب عدم التساهل في الوقوف أمام مدارس الإناث؛ لأن ذلك يندرج تحت حرمة أعراض المسلمين.

١٢- شكر اللّه على نعمة السيارة:

والشكر عبادةٌ عظيمةٌ ومنحةٌ ربانيَّةٌ كريمةٌ، يهبها اللّه تعالى لعباده المسلمين،

= (٤٠٠٢)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٢٥٧٢)، حكم المحدث: صحيح.

(١) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجة، الجزء أو الصفحة: (٣١٩١)، حكم المحدث: صحيح.

ويجمِّل بها أولياءه المخلصين.

وحقيقة الشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبَّةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً، وقد قسَّم الله- تعالى- الناس إلى شكورٍ وكفورٍ {إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣} [الإنسان].

فالشكر مبني على عدة قواعد منها:

- خضوع الشاكر للمشكور باتباع أوامره والانتهاء عما نهى عنه.
- وحبه له، واعترافه بنعمته.
- وثناؤه عليه بها.
- وألّا يستعملها فيما يكره.

وإن من نعم الله على عباده السيارات التي يركبونها وينتقلون عليها من مكان إلى مكان ويحملون عليها أمتعتهم وأثقالهم، يقول الله تعالى: {لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤} [الزخرف].

وإذا كانت النعمة على من قبلنا عظيمة بأن يسَّر لهم من الفلك والأنعام ما يركبون، فإنَّ النعمة علينا في هذا الزمان أكبر وأعظم؛ حيث يسَّر لنا وسائل النقل الحديثة، المريحة في تحركها وتنقلها، الجميلة في شكلها ومنظرها، ويسَّر مع ذلك طرقها وذلَّل سبلها وهيَّأ كل الوسائل المحققة للراحة فيها، ينتقل الناس عليها من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد بلا مشقة أو تعب.

وصدق الله العظيم إذ قال: {وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤} [إبراهيم].

وإن الكفر بهذه النعمة يتمثل في إساءة استخدامها من إلحاق الضرر بالنفس والغير، وعدم حسن التصرف فيها، فمنهم من يقود هذه السيارات والمراكب بسرعة

قاتلة، ومنهم من يقودها وهو جاهل بقواعد القيادة، ومنهم من يقودها وهو مفرِّط في أسباب السلامة، ومنهم من يقود هذه السيارات من غير مراعاة لأنظمة المرور والسير التي وضعت للمصلحة العامة، غير مبال بأرواح الناس وممتلكاتهم، تهوُّر واستهتار، طيش وخبال. ولما كانت هذه حال كثير ممن يقود السيارات، كانت النتيجة مآسي فادحة، وفواجع متواصلة، وحوادث مُروِّعة، ذهب بسببها كثير من الأنفس والأموال. هذا كله كفر بهذه النعمة، فالواجب تقوى الله، وشكر هذه النعمة حقًّا ورعايتها، بالأخذ بأسباب النجاة من مخاطر هذه السيارات ومهالكها، والالتزام بأنظمة السير والمرور. فالالتزام بها تَعبُّدٌ لله، وتحقيق لمصلحة العباد والبلاد؛ وفي ذلك خير عظيم من حفظٍ للأنفس والأموال وتوقٍّ للأخطار.

والنعمة تُشكر لا تُكفر حتى لا يحرمنا الله تلك النعمة.

١٣- الأدب في القيادة:

من حُرِم الأدب حُرِم كل شيء.

الشريعة الإسلامية تتمحور في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب.

والأدب يكون مع الله ورسوله والمؤمنين وكل ما هو حولك، وتبين لنا أن عادة قيادة السيارة قد تصبح عبادة إذا صحت النية في الاحتساب لله في استخدامها، وإذا كنت في عبادة فلا بد من الأدب مع الله ومع العباد؛ لأنها أصبحت عبادة وليست عادة.

ومن الآداب عند قيادة السيارة:

- أن تُقاد السيارة بحسن خلق وذوق وفن، وقد قيل (القيادة فن وذوق وأخلاق).
- عدم الاستهتار في القيادة للسيارة أو التذمر ممن حولك بالسباب والشتم، وأن تكون جلستك في السيارة مؤدبة، فهناك من تراه يجلس خلف المقود وقد أرسل مقعده إلى الخلف وكأنه نائم، أو يرفع قدمه نحو النافذة مستهينا بكل من حوله، فهذا ليس من أدب قيادة السيارة. قال تعالى ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر].

القيادة فن من فنون هذه الحياة، ومهارة نكتسبها بالخبرة والتعلم، فن التعامل مع الآخرين أثناء القيادة، فالقيادة تعلمنا الانضباط وحرفية التعامل مع السيارات المجاورة والوصول إلى الهدف بأمان.

ومن الأدب أيضًا أثناء قيادة السيارة:

- الالتزام بتعاليم السلامة المرورية.
- الحذر كي لا نضيع أمانةً وهبنا الله إياها.
- المحافظة على نظافة الطرق وسلامتها؛ فلا نلقِ المهملات في الشوارع.
- مراعاة حق الطريق أثناء القيادة، فلا نستعمل المكابح بلا ضرورة، فذلك يؤدي إلى الإضرار بالممتلكات العامة.
- تلافي أخطاء الآخرين، فالانتباه والتيقظ أثناء القيادة أمر لا بد منه، فعلى السائق الماهر الحذَر والانتباه من أخطاء الآخرين، وألّا يعتمد على مهارته في القيادة فحسب؛ فكم من مهارة خذلت صاحبها. إن الالتزام بآداب المرور مسؤولية كل فرد في المجتمع، فالقيادة كأي عمل لها آداب يجب علينا جميعًا الالتزام بها.
- أن يكون لرجال المرور مكانة عظيمة عند السائقين؛ فرجل المرور يضحي براحته من أجل سلامة السائقين، فهم يستحقون منا كل احترام وتقدير، وواجب علينا إعانة هؤلاء الرجال على تأدية واجبهم بإخلاص وأمانة.
- عدم مزاحمة السيارات التي تمر بجانبنا، ويجب علينا أيضًا أن نأخذ بعين الاعتبار أننا لا نسير في هذا الطريق وحدنا؛ وإنما هناك العشرات بل المئات من السيارات التي تسير معنا في الطريق، فيجب علينا احترامها، ويجب علينا أيضًا ألّا ننسى أن هناك من يسير على قدميه فلا نزاحمه، ولا نعترض طريقه. ومن الأدب مراعاة الهدوء أثناء القيادة، فلا نكثر من استخدام آلات التنبيه بطريقة مثيرة للاشمئزاز ومزعجة تؤدي إلى حدوث تلوث سمعي.

١٤- المحافظة على صيانة السيارة وحالتها الفنية الجيدة:

هناك أعمال ضرورية لا بد منها قبل قيادة السيارة وقبل السفر لمسافات طويلة، وهذه الأعمال الغرض منها المحافظة على الحالة الفنية الجيدة للسيارة، وكذلك الحفاظ على السائق وراكبي السيارة، وضمان عدم تعرضهم لأي عطل مفاجئ على الطريق، ولا بد من فحص السيارة قبل استخدامها بطريقة صحيحة، وقد بينا سابقًا الإجراءات الواجب اتخاذها لذلك.

١٥- تطبيق أنظمة المرور وقوانين السلامة المرورية:

الالتزام بأنظمة المرور والسلامة المرورية يعد في أحكام الشريعة الإسلامية واجبًا شرعيًا.

فهذه الأنظمة وضعتها الدولة لتنظيم سير الناس على هذه الطرق، وحفظ أرواحهم من الهلاك، وبناءً على المصلحة يجب الالتزام بهذه القوانين، فالمصلحة هنا معتبرة، فهي لم تخالف نصًا من الكتاب أو السنة، ومنفعتها لعموم الناس، وهي من الضروريات في هذا العصر.

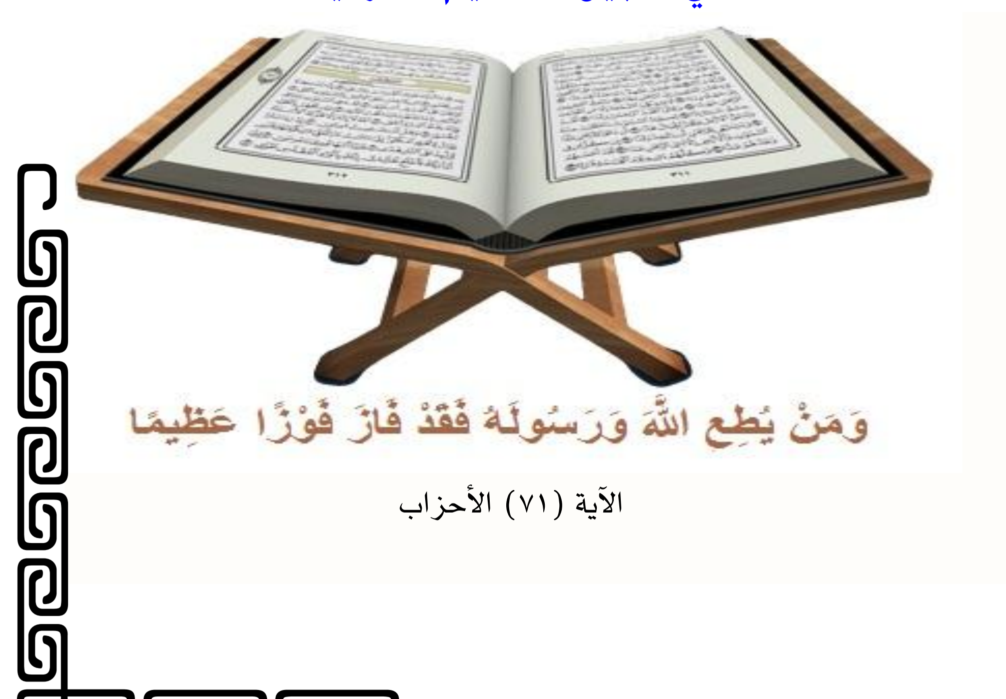
وقد سبق أن أصدر مجمع الفقه الإسلامي قراره رقم ٧٥/٢/د٨ بوجوب الالتزام بأنظمة المرور والمنع من مخالفتها.



الفصل التاسع



كمال السلامة المرورية
في تطبيق التعاليم الشرعية



الآية (٧١) الأحزاب



كمال السلامة المرورية
في تطبيق التعاليم الشرعية

الأرواح ليست هينة لهذه الدرجة أن تُزهق بسبب تهور، أو طيش، أو تجاوز للأنظمة، إن الأمر خطير جدا، وإن ما نفقد من الأرواح والأموال كبير، وأكثر المفقودين في هذه الحوادث في سن يتراوح بين الخامسة عشرة والأربعين، وهذا يعني أن جُلّهم يُعيل أسرة، من منا يرضى أن يحول السيارة التي هي وسيلة نقل إلى وسيلةَ قَتْلٍ ودمار؟! من منا يرضى أن يكونَ سببًا في تحوُّل أسرة تنعم في ظل راعيها بالبهجة والسرور إلى أسرةٍ كئيبة حزينة تعيش حالة من البؤس والتعاسة والشقاء صباح مساء ولسنين عديدة؟! من منا يرضى أن يكونَ سببًا في حفر ذكريات أليمة في مهج أطفال صغار ينتظرون بشوق عودة أبيهم أو أخيهم؟!

فهذه طفلة صغيرة مضت مع والدها الحنون إلى بوابة المدرسة وودعته بابتسامتها البريئة على أمل لقائه في آخر اليوم، لكنها في ذلك اليوم وقفت على باب المدرسة طويلًا حيث غاب عنها أبوها وغاب معه حنانه وعطفه.

هذه قصص أصبحت مألوفة لنا مع كثرة حوادث السيارات، فهذا انقلاب يودي بالعشرات، وذاك تصادم تمزق فيه الأشلاء، وذاك دهس تُسال فيه الدماء، ما أشنع مناظر الحوادث، ما أقساها، ما أعنفها، إنه حديد لا يرحم أحدًا.

ما أقسى المنظر يوم يتعامل هذا الحديد الشديد مع الجسد الطري، كيف يُمزقه ويُشققه؛ زيارة واحدة لأحد المستشفيات كفيلة بإظهار عظيم المصيبة، وهول الفاجعة، شبابٌ في أعمار الزهور يرقدون على الأسرة البيضاء ما بين مكسورٍ ومبطونٍ ومجنونٍ ومعاق، جراء حوادث محزنة، ألا يريعك مشهد السيارة المتحطم؟ ألا يخيفك منظر الدماء؟ ألا تتأثر بمشاهدة الجثث؟ هل أبصرت عيناك هذه المواقف؟ هل استمعت أذناك إلى صرخات المتوجعين وأنات المتألمين؟

إلى متى سنظل في ضياع والحل بين أيدينا في شريعتنا في تعاليم ديننا؟

إن تطبيق تعاليم الإسلام هي الحل الأمثل لكل مشاكل العصر وليس مشكلة الحوادث المرورية فحسب، لأنه دين الله وخاتم الأديان، ولا وحي بعده، فلا يعقل أن يكون الله قد بعث رسولًا خاتمًا للأنبياء إلا وقد أرسل معه كل الحلول لكل مشاكل الحياة ومستجداتها، مهما كبرت أو صغرت، وأبطل كل سيئ قبله، وأقر كل حسن كان موجودًا، قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١).

فليعلم المسلمون أن قيادة السيارة فن وذوق وأخلاق، والناس يعرفون سائق السيارة صاحب الخلق الطيب من خلال قيادته وتأدبه مع الناس أثناء السير بسيارته، كما يعرفون السائق صاحب الخلق السيئ من خلال قيادته وسوء تعامله أثناء القيادة.

وفي الحقيقة إن البعض من المسلمين يحتاجون إلى أن يتخلقوا بأخلاق الإسلام أثناء قيادتهم، فإن هناك من أساء ويسيء كثيرًا لكل من مروا عليه حتى الحيوان لم يسلم منهم ومن قيادتهم، يقول ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، قال: فأما إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: يا رسول الله فما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٢).

إن بعض المسلمين اليوم لا يعرفون هذا التوجيه النبوي بحال من الأحوال فلم يعطوا الطريق حقه، بل اعتبروا الطريق ملكًا لهم دون الناس فأسرعوا فيه سرعة

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الجزء أو الصفحة: (٤٥)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) التخريج الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: (٦٢٢٩) خلاصة حكم المحدث: [صحيح].





جنونية وتعمدوا (التفحيط).

فأنت تسمع صوت عجلات السيارة من بعيد، تفزع النائم وتخيف المستيقظ، وتسمع الصراخ في الليل والضحك وصوت أغانيهم المزعجة، أغلقوا الشوارع واعترضوا بسياراتهم غير مبالين بالمارة، وصعدوا بسياراتهم على الأرصفة وتشاجروا واختلفوا مع بعضهم أمام المارة ومع أصحاب المحلات، أتعبوا رجال الأمن بمخالفاتهم المتعددة المتكررة، تسابقوا وماتوا وأصابتهم العاهات والكسور والأمراض المستعصية وامتلأت المستشفيات من المصابين منهم بسبب الحوادث، أحزنوا آباءهم وأمهاتهم وأحرجوهم وأتعبوهم، إنك ترى وتسمع وتلمس العبث كله بنعمة امتلاك السيارات عند شبابنا، وخاصة في المناسبات، عندما يخرجون فيما يسمونها (مسيرات) الأفراح والرياضة، لا يعرفون الهدوء ولا السكينة، بل يلقون بأنفسهم إلى التهلكة، لا مانع أن تفرح، ولكن دون أن تؤذي غيرك، ربما فرح ساعة بغير تعقل يورث حزن سنين.

إن من وضع قوانين السير والمرور والمخالفات والرقابة على هذه المخالفات هو إنسان لا يختلف عن السائق، ورقابته وعلمه وقدرته قاصرة مهما بلغ من التقدم والعلم، وربما يكون السائق أزكى منه فيحتال عليه أو يتفلت منه ويخالف دون أن يطاله علمه أو قدرته.

ولكن إذا علم السائق أن الله هو الذي يراقبه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن علمه محيط به وقدرته تطاله وسيحاسبه وأن مخالفة أنظمة المرور والسلامة المرورية تتبع بسيئة، وتطبيقه يتبع بحسنة -إن شاء الله-، فلن يخالف هذه الأنظمة أبدًا، وسيلتزم بها حتى في منتصف الليل، حيث لا يوجد كاميرات أو أي مراقبة، لأنه يعلم أن الله قد وضع عن يمينه ملكًا يحصي ويسجل له ثواب العمل الصالح وملكًا عن يساره يسجل له سيئاته.

إن مما يتميز به الإسلام قدرته على إعطاء الأحكام والحلول لما يستجد من

القضايا والمشاكل، دون المساس بالأسس والثوابت التي يقوم عليها، تلك المزية التي لا توجد في مبدأ آخر. فالإسلام، وهو الدين الذي أنزله الله عز وجل على رسوله محمد ﷺ لينظم علاقة الإنسان بنفسه وبغيره وبخالقه، قد مكن أتباعه من التماس حلول للمستجد من المشاكل عبر العصور والأوان، بشكل مرتبط ارتباطًا وثيقًا مع الأسس والثوابت الموجودة في المبدأ الإسلامي. ذلك أن مصادر التشريع وهي الكتاب والسنة وأدلة التشريع وهي الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقياس، ليست نصوصًا قانونيةً جامدةً تعطي مدلولات قاصرة على الحوادث التي نزلت أولًا من أجلها، ولكنها خطوطٌ عريضةٌ وأحكام عامة وقواعد كلية، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ويمكن للمجتهد أن يستنبط منها أحكاما تفصيلية للقضايا المستجدة مهما تنوعت وتعددت وتشعبت. وخاصة موضوع السلامة المرورية، هذه الطريقة الفريدة من نوعها قد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣} [النساء].

ومعنى يستنبطونه هنا يستخرجونه، وأولو الأمر هم أهل العلم والفقه، كما قال الحسن وقتادة وغيرهما.

إن الذي يعرف الإسلام على حقيقته ينحني إجلالًا واحترامًا لهذا المبدأ العظيم، ويتيه فخرًا على أتباع المبادئ والأديان الأخرى، ويعمل جاهدًا لتطبيق تعاليمه، وهو رسالة هدى ونور إلى العالم أجمع، وهو عز الدنيا والآخرة. وهذا ليس كلامًا نظريًا، وإنما حقيقة تاريخية وعن دولة أُقيمت على يد الرسول ﷺ، وأُسست من أول يوم على تقوى من الله ورضوانه، واستمرت ثلاثة عشر قرنًا من الزمان وهي الدولة الأولى في العالم، نعِمَ سكانها عبر العصور الطويلة بالحياة الكريمة الرغيدة، وكان أكبر همهم

إخراجُ الناس من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. مطلبهم إرضاء الله سبحانه باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

وقد تقلبت عليهم كافة الأجواء التي تتقلب على الدول الكبرى، بل إنها من أطولها عمُرا، وأكثرها عدلًا، وأغناها تراثًا، وأوسعها حضارةً.

فالإسلام عبر الزمان والتاريخ استطاع أن يثبت استيعابه لكل المستجدات والتطورات الحضارية، بل ساهم فيها وأغناها علمًا وعملًا.. وكما وجدنا أن الإسلام قد ألمح إلى موضوع تنظيم الحياة المرورية واستنبط العلماء الكثير من الأحكام والفتاوى في هذا المجال، من هنا فإن تطبيق التعاليم الإسلامية في السلامة المرورية خير وسيلة لتخفيف الحوادث وحفظ الأنفس والمال.

وهكذا يمكننا القول إن تعاليم الإسلام كانت ولا تزال المرشد الأول في الدعوة لالتزام أسباب السلامة المرورية، وقد سبق الإسلام الثورة الصناعية بقرون بدعوته إلى السلامة، وكانت نظرته إليها أعم وأشمل من النظرة المادية التي نظرتها الثورة الصناعية والنهضة الأوروبية، إنها نظرة الإنسانية والرحمة والرفق، تجمع بين الهدف المادي المحدود والتربوي والنفسي والديني الواسع.

ويربط الحديث الشريف هذه الجوانب بعامل الأخوة الدينية التي لا تنفصم عراها، فقد جاء في حديث أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

وعليه، يجب أن يحب المسلم لأخيه ما يحب ويكره لنفسه، ومن هنا يتبين أنه على

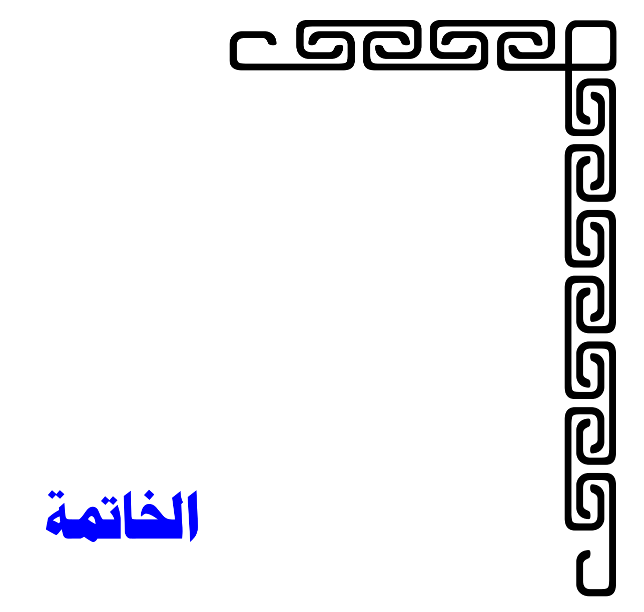
---

(١) الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الجزء أو الصفحة: (١٣)، والمحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الجزء أو الصفحة: (٥٠٥٤)، حكم المحدث: صحيح.

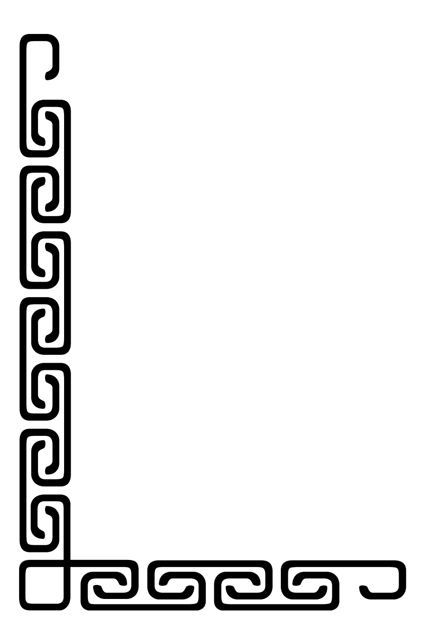
كل إنسان يقود مركبة الحرص على سلامته وسلامة الناس أجمعين، ولعل هذا يؤكد على وجوب اتباع الإنسان أسلوب السلامة وأصولها في كل أعماله وتصرفاته.

ويتبين لنا أن السلامة المرورية من الموضوعات الفقهية التي تحتاج إلى دراسة مستفيضة وبحث دقيق، وأصبحت واقعًا يحتاج إلى وضع ضوابط له، لما يترتب عليه من الحماية من الحوادث والأضرار البالغة في الأرواح والمال، وهي من المسائل التي اهتم بها الشرع، كما وجدنا أن تطبيق تعاليم الإسلام في هذا الخصوص أقصر وأفضل طريق لتخفيف خطر الحوادث المرورية التي استفحلت وعظم خطبها، وإظهار حضارة المجتمع الإسلامي وجعل طرقاتنا آمنة مطمئنة جميلة.





الخاتمة



بعد فهمك للسلامة المرورية من خلال الشارع الحكيم



في الشارع

وما يدريك لعل من ينهي حياته بالإهمال واللامبالاة في حادث سير قد يكون ممن {خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١} [الحج]



الخاتمة

الحمد لله على تمام نعمه، والذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ من بعث متمما للأخلاق:

السلامة المرورية موضوع فقهي قبل أن يكون موضوعًا مروريًا، ومقصد عظيم من مقاصد الشرع الحكيم، لما فيها من حفظ المصالح الخاصة والعامة، ومن يطبقه له ثواب، ومن يخالف فعليه عقاب، ولا بد من مراعاة قوانين السير، والأنظمة المرورية، واحترام إشارات المرور، وعدم الانشغال بما يشتت الذهن، ويصرف التركيز، كالهواتف النقالة، وقراءة الرسائل أو كتابتها، فإن ذلك خطره كبير، وضرره جسيم، وقد يقع بسببه ما لا تحمد عواقبه من الحوادث والكوارث البشرية والمالية.

وكذلك التحلي بالهدوء وضبط النفس والصبر، والانتباه للطريق، وتوقع أخطاء الآخرين، وفسح الطريق ما أمكن، وحسن استخدام المواقف، وملازمة اللين والرفق.

عليك بالتأني والتروي، فالأناة خلق حميد، وسلوك رشيد، إنَّ النَّبيَّ ﷺ، قالَ لأشجِّ عبدالقيس: «إنَّ فيكَ خَصلتينِ يحبُّهُما اللَّهُ: الحِلمُ، والأَناةُ»(١).

ومن الحلم والأناة اجتناب السرعة الزائدة أثناء قيادة السيارات، فهي تخالف القانون، وتنافي الحلم والسكينة والوقار، وتقود للحوادث المؤلمة الموجعة المؤدية إلى الوفاة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]. أي بسكينة ووقار.

وقد أمر النبي ﷺ بالتزام السكينة في السعي إلى أعظم العبادات وهي الصلاة

---

(١) الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الجزء أو الصفحة: (٢٠١١)، حكم المحدث: صحيح.



فقال: «عن أبي هريرة ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعَون، وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»(١).

كما حث الشرع على الأناة في كل شيء، لأن العجلة والتسرع سبب لوقوع الزلل والخلل، يقول نبينا ﷺ: «التَّأنّي مِنَ اللّهِ، والعَجَلَةُ مِنَ الشيطانِ..»(٢).

فالأناة لا تأتي إلا بخير، وهي سبب لبلوغ المقاصد والغايات.

على الإنسان أن يعلم أن النفس أمانة عظيمة، استودعه الله سبحانه إياها، فهو مؤتمن عليها، لا يحل له إزهاقها أو إلحاق الضرر بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء]. وإن من أعظم مقاصد الشريعة حفظ الأبدان والأرواح، وقد نهى ﷺ عن الضرر بجميع أنواعه فقال: «لا ضرر ولا ضرار»(٣).

ونهى ﷺ عن ترويع الناس وإخافتهم بأي وجه من الوجوه، فقال: «لا يَحِلُّ لمُسلِمٍ أنْ يُرَوِّعَ مُسلِمًا»(٤).

---

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الجزء أو الصفحة: (٣٦٩)، حكم المحدث: صحيح.

(٢) الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: (١٥٧٢)، حكم المحدث: حسن.

(٣) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: النووي، المصدر: الأربعون النووية، الجزء أو الصفحة: (٣٢)، حكم المحدث: حسن.

(٤) الراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترغيب، الجزء أو الصفحة: =

فمن يخالف الأنظمة المرورية فهو مخالف للشرع؛ لأنه إما أن يضر نفسه، أو يضر غيره، أو يضر نفسه وغيره معا، أو يروع الآخرين. والمسلم مأمور بكف الأذى عن نفسه وغيره، قال رسول الله، ﷺ: «المسلمُ من سلم الناسُ من لسانه ويدهِ، والمؤمنُ من أمنه الناسُ على دمائهم وأموالهم»(١).

فاحذر أن تكون سببا لأذية إنسان، فتبوء بالإثم والخسران.

إن الالتزام بقوانين السير يعبر عن رقي وثقافة السائق، وينعكس هذا على المجتمع الإسلامي بأسره، ومدى احترامه للدين وللأنظمة والقوانين، التي وضعت لأجل المصالح العامة، ونفع العباد والبلاد، وحفظ الأنفس والأرواح، والممتلكات، فلنتعاون لجعل طرقاتنا آمنة خالية من الحوادث ممتثلين قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة].

﴿نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الفاسق هو الذي يتبنى اعتقادات تتناسب مع تصرفاته، وليس في حساباته الآخرة عند فسقه، فتراه متعديًا على الناس متفلتًا من شرع الله.

وخلاصة الأمر (تقوى الله في السلامة المرورية):

أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يُكفر.

أن يطاع الله بـ(تطبيق أنظمة المرور) فلا يعصى بـ(مخالفات المرور) ويذكر فلا ينسى بـ(أدعية الركوب وأذكار الطريق) ويشكر بـ(شكر نعمة السيارات) فلا يكفر بـ(الحفاظ على السيارة واستخدامها فيما خصصت له وعدم استخدامها في ما حرم الله).

= (٢٨٠٧)، حكم المحدث: صحيح لغيره.

(١) الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح النسائي، الجزء أو الصفحة: (٥٠١٠)، حكم المحدث: حسن صحيح.

أطع الله في تطبيق قوانين المرور، واذكر الله بأدعية وأذكار الطريق، واشكر الله على نعمة السيارة باستعمالها فيما خصصت له للمنفعة وليس للضرر وفي ما حلل والابتعاد عن استعمالها فيما حرم، وبذلك تتقي الله في السلامة المرورية.

في الختام أذكر نفسي وإياكم بتقوى الله في كل دقائق حياتنا حتى نلقى الله وهو راض عنا.

الأيام كالسيارة، تجري وتسير في طريق الحياة، وتترك وراءها العمر، وتسحب معها السنين، وتتجاوز الأجيال جيلا بعد جيل، وينتهي طريق الحياة إلى مقبرة لنا فيها مكان، إما مظلم أو منير.

وبعدها سيقف الجميع بين يدي الملك الجليل للسؤال عن القليل والكثير، والنتيجة إما فوز عظيم جنات الخلد، أو خسران مبين جهنم وساءت مصيرا.

{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨} [الزلزلة].

عسى الله أن يجعل لنا في ذلك صدقة جارية، ودعاء في ظهر الغيب ممن كتب فأخذنا عنه ومن نشر أو قرأ ومن ثم طبق.



المراجع

استعنت في إعداد هذا الكتاب على محاضرات ومقالات وخطب ومواقع انترنت لعدد من الدكاترة والأساتذة المعاصرين، من بينهم جزاهم الله عنا كل خير:

- د. محمد راتب النابلسي (محاضرات ودروس).
- محاضرة للدكتور مسفر بن علي القحطاني، الأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، (محاضرة بعنوان فقه المرور وآدابه).
- بعض خطب (السلامة المرورية) من الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف.
- منتدى هندسة الأمن والسلامة.
- محاضرة للدكتور أحمد بن يحيى بن أحمد الكندي، أستاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم العلوم الإسلامية، جامعة السلطان قابوس (إقتباس).
- بعض العبارات التي اقتبستها بتصرف ولم أذكر كاتبيها أطلب منهم المسامحة وأجره على الله.



تعريف بالجمعية السعودية للسلامة المرورية

أهداف الجمعية

- تنمية الفكر العلمي في مجال السلامة المرورية والعمل على تطويرة وتنشيطه .
- تحقيق التواصل العلمي بين المهتمين بالسلامة المرورية .
- تقديم المشورة العلمية في مجال السلامة المرورية لجميع الجهات الحكومية والأهلية .
- تطوير الأداء العلمي والمهني للمعنين في المرور والسلامة المرورية .
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية بين الهيئات والمؤسسات المعنية بالمرور والسلامة المرورية داخل وخارج المملكة .

نشاط الجمعية

- تطوير الأنظمة والقوانين والإجراءات المتعلقة بالسلامة المرورية وتطبيقاتها بالتعاون مع الجهات المعنية.
- تشجيع إجراء البحوث والإستشارات العلمية المتعلقة بالسلامة المرورية وعمل الدراسات العلمية لتطوير الممارسات التطبيقية للسلامة المرورية.
- تنظيم الندوات والحلقات الدراسية والدورات المتصلة بالسلامة المرورية والمشاركة في المعارض المحلية والدولية.
- تأليف وترجمة الكتب العلمية ذات العلاقة بالسلامة المرورية ودعوة العلماء والمفكرين للإسهام في نشاط الجمعية.
- التنسيق مع الجهات المعنية المتعلقة بالسلامة المرورية لتحسين مستوى السلامة المرورية والوقاية من حوادث الطرق وتأهيل وتقويم سلوكيات السائقين.
- تشجيع كافة الشرائح الإجتماعية على تقديم الخدمات التطوعية لتحسين مستوى السلامة المرورية.



- إصدار الدراسات والنشرات والدوريات العلمية التي تتصل بمجالات اهتمامها.
- تنظيم رحلات علمية لأعضائها وإقامة مسابقات علمية في مجال تخصصها.

مجلس إدارة الجمعية المنتخب:

١-الدكتور عبدالحميد بن سليمان المعجل	رئيسا
٢-المهندس لطان بن حمود الزهراني	نائبا
٣-المهندس أحمد حسن دحمان الغامدي	أمين المجلس
٤-د. نجاح بنت مقبل القرعاوي	عضو
٥-د. علي عثمان مليباري	عضو
٦-أ. علي عائض العسيري	عضو
٧-د. ثامر الجنيد	عضو
٨-أ. خالد بن عواد السهلي	عضو
٩-أ. نورية بنت تركي الله	عضو

عضوية الجمعية

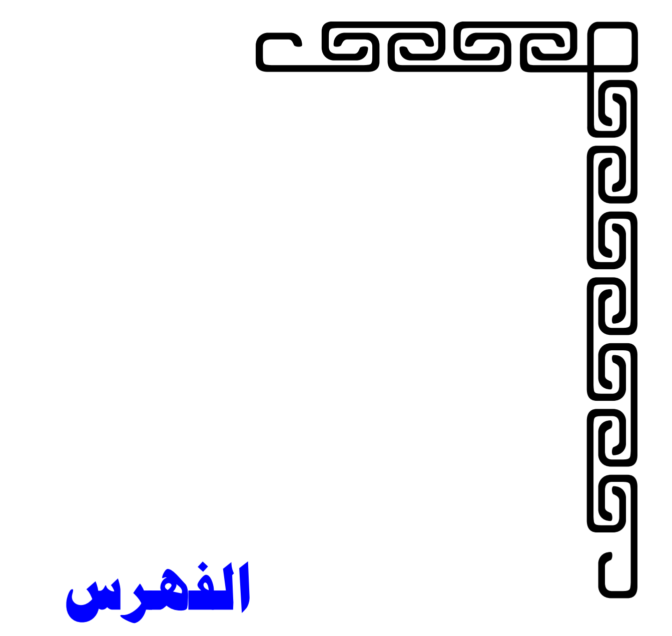
تتكون العضوية في الجمعية من ثلاثة أنواع:

- عضوية عاملة: هم الحاصلون على درجة علمية أو ما يعادلها في مجال المرور والسلامة المرورية.
- عضوية شرفية: تمنح بقرار من الجمعية العمومية لمن لهم إسهام أو خدمة مالية أو معنوية في مجال المرور والسلامة المرورية
- عضوية انتساب: وذلك للطلاب الجامعيون في تخصص المرور والسلامة المرورية والمهتمون بها لمن لا يتوفر فيهم المؤهل العلمي.

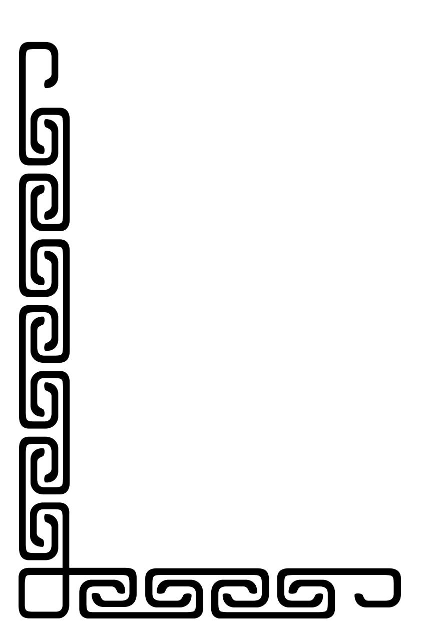
موارد الجمعية

تعتمد الجمعية بصفة أساسية على مواردها الذاتية التالية:

- حصيلة الاشتراكات السنوية من الأعضاء.
- عائدات من الخدمات التي تقدمها الجمعية في حدود أهدافها.
- الهبات والتبرعات والمنح التي تقدمها الجامعة أو الهيئات أو الأفراد.



الفهرس



الفهرس

